الفصل الأول

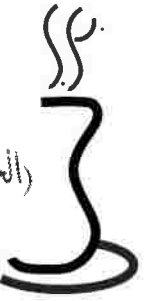

(الحاسة السادسة: التنبؤ والاستبصار بالأحلام)

(1)

الاستبصار عن طريق الأحلام

هل صدف أن قابلت شخصًا لأول مرة، وأنت تحس أن وجهه مألوف لك؟ لا ريب أن كثيرين منا خضعوا لمثل هذه التجارب الفريدة في لقاء أشخاص وجوههم مألوفة كأنهم يعرفونهم منذ زمن، وأحيانًا قد يعطيهم هذا الإحساس بالألفة بعض الجرأة في التعامل معهم فيرفعون معهم الكلفة وينطلقون في أحاديثهم، كأنهم أصدقاء قدامى.

ولكن ماذا لو حلمت بأنك قابلت شخصًا لأول مرة، وجهًا تراه في حلمك وقد تعايشه في أحداث ما تجري في الحلم، ثم تقابله بعد أيام بشحمه ولحمه ولأول مرة في حياتك؟ ماذا عن قوة الاستبصار بالحلم، هل هي حقًا موجودة؟ وما علاقتها بالحاسة السادسة؟ بعض الناس يحلمون كثيرًا وربما تكون أحلامهم مهربًا لهم من متاعب حياتهم اليومية ومنغصاتهم ولكن بعضهم أيضًا قد يلذ له أن يحلم وينقله خياله المجنح في الحلم إلى ممالك خرافية يقابل فيها أناسًا، ويلتقي بغرباء تجري معهم الحوادث المثيرة وربما المدهشة. . .

فالظامئ للحب في حياته، يحلم بالحب ويقابل حبيبة مجهولة ينبض قلبه للقياها وترتسم صورتها لساعات في ذهنه بعد أن يستيقظ. . والمشتغل بالفلك تنقله أحلامه الخصبة إلى الفضاء في رحلات إلى كواكب بعيدة، ويعيش بعضًا من الحوادث المليئة بالدهشة والخوف

عبر فضاء يقطعه بسفينته الخرافية.. والسجين يحلم بالحرية والحدائق الوارفة والطيور المغردة والهواء النقي كما يحلم بالحب الذي يفتقده فتخفف عنه هذه الأحلام هول عزلته ورعبها..

كلنا نحلم، البعض يتذكر أحلامه والبعض ينساها فور استيقاظه، البعض يهتم بها ويستذكرها والبعض الآخر لا يبالي أن حلم بمدينة فاضلة أو بسجن ذي أقبية معتمة ولكن ماذا عن الاستبصار بالحلم؟ هل يمكن أن يكون الحلم منفذًا لرؤية أحداث مقبلة؟لقد أكد العلماء وجود مثل هذا الاستبصار وسجل بعضهم أحلامًا كثيرة لأشخاص مشهورين بالاستبصار بواسطة الأحلام.. تحققت غالبيتها..

كثيرون منا قد يملكون مثل هذه القوة ولكنهم يهملونها أولا ينتبهون لها أما تفسيرها فيشبه ما يسمى باختراق حاجز الزمن وهو موضوع يحتاج لبحث طويل وسيكون موضوعًا لحديث قادم.

لقد حدثت لي مثل هذه الحوادث في الاستبصار بالأحلام عدة مرات في حياتي لا أزال أذكرها جيدًا، فحينما كنت في الثامنة من عمري، حلمت أنني التقيت رجلًا كبيرًا بلحية بيضاء، أعطاني قلمًا رصاصيًا مذهبًاَ ودربني على رسم الطيور وبعد أيام من ذلك دخل بيتنا ابن خالة والدي ويعيش في قطر عربي آخر، كان رجلًا كبيرًا بلحية بيضاء أعطاني قلمًا مذهبًا من الرصاص وحكى لي حكايات ممتعة، وإبان إقامته معنا دربني على الرسم وكان شكله مطابقًا لشكل الرجل في الحلم..

ولعل أبرز الحوادث ماجرى معي إبان إقامتي في الهند، ففي الخامس من كانون الثاني عام1981 كنت أزور مدينة (أندور)في أواسط الهند لأول مرة، كان الشارع الذي يسكن فيه أصدقائي مألوفًا لدي، ربما لشبهه الغريب بأحد شوارع المدينة التي نشأت فيها وقد حلمت في تلك الليلة بأنني أتمشى في شارع مدينتي البعيدة ثم رأيت جمعًا غفيرًا ونساء بثياب هندية، حين اقتربت منه رأيت داخل الحشد كهلًا بثياب خفيفة يعزف على المزمار وتتراقص حوله الأفاعي.. استيقظت مرعوبًا وبقيت لدقائق أحاول أن أنسى منظر الأفاعي المخيفة وهي تتراقص على أنغام المزمار.

وفي اليوم التالي وإبان عودتي وأصدقائي من جولة في المدينة شاهدنا عن بعد حشدًا ذكرني بالحشد الذي رأيته في الحلم فقلت لأصدقائي دون أن أعي: ((إنهم يجتمعون حول رجل يرقص الأفاعي بمزماره)) نظروا إليَّ مستغربين ثم سمعنا ونحن نقترب فعلًا صوت المزمار وكان نفس المنظر الذي رأيته في الحلم، الكهل ذو الثياب الخفيفة وهو يعزف على المزمار والأفاعي الكريهة حوله تتراقص.

وقبل نهاية زيارتي لمدينة (أندور) حلمت أنني التقيت في محطة القطار في مدينة بوبال التي تبعد عن أندور نحو خمس ساعات في السيارة صبية وأخاها، كانت جميلة الوجه بسمرة خفيفة ترتدي ساريًا أخضر، بينما كان أخوها يضع على عينيه نظارات سميكة وقد شربنا الشاي بالحليب ونحن ننتظر القطار.. وحين صحوت في اليوم التالي ظلت صور الحلم تلح علي لعدة ساعات في النهار وأنا أجهز نفسي

للرحيل حيث انطلقت نحو بوبال عاصمة الولاية في نحو السادسة بسيارة أجرة وقد همست لأحد أصدقائي: ((لن أنسى هذه الأيام التي عشتها هنا)) وكنت أتذكر حلمي بالرجل الكهل وهو يعزف على مزماره وحوله الثعابين الراقصة.

وقد نما عندي إحساس خاص بأنني سألتقي بالصبية التي رأيتها في الحلم ولست أدري ما دفعني لأفكر بهذا الاتجاه؟.. إلا أنني بعد ساعات نسيت الحلم الذي كنت أسترجعه وانشغلت بعد وصولي لمدينة (بوبال) - وهي نفس المدينة التي حدثت فيها كارثة تسرب الغازات السامة من مصنع كيماوي وأهلكت وشوهت عددًا كبيرًا من الضحايا - بتدبير (سكوتو) للوصول إلى المحطة الرئيسية وكانت الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف وموعد وصول القطار المتجه إلى أغرا المدينة التي أقصدها هو بعد نصف ساعة ولم تكن المسافة بين الكراج والمحطة قصيرة، أبلغني موظف الاستعلامات عند وصولي بأن القطار المتجه لأغرا سيتأخر حتى الواحدة والنصف، وكانت قاعات المحطة تغص بالمسافرين الذين افترشوا الأرض ولذلك انزويت على أحد أرصفة المحطة أقرأ في كتاب منتظرًا وصول القطار المتأخر.

بعد نحو ساعة انتبهت على خطوات مختلطة تقترب مني، والرصيف الذي أجلس على أحد مقاعده شبه خال من الركاب، وماأن رفعت رأسي أرمق بفضول القادمين حتى فوجئت بالوجه الأسمر

الجميل لفتاة ترتدي الساري الأخضر وإلى جانبها رجل يضع عوينات سميكة ويحمل حقيبة ضخمة.. أحسست بقلبي يكاد ينخلع من صدري ولم أع كيف بادرت لتحيتها وقد فوجئًا بي ولما رأيا سحنتي الغريبة التي تدل أنني لست من أهل البلاد، ابتسم الشاب في وجهي فدعوتهما للجلوس على المقعد الخشبي قربي..

وكما في الحلم تمامًا شربنا الشاي معًا وقد امتدت صداقتي لراكيش وهو اسم الشاب طوال مدة إقامتي في الهند، أما أخته الشابة فبعد أقل من عام من لقائنا ذاك أصابها المرض وتوفيت وألقيت عليها وهي فوق المحرقة،النظرة الأخيرة في مدينة (بنارس) على ضفاف نهر الغانج.. وأنا أشعر بحزن لا يوصف.. *

حتى الآن لاتزال تلك الأحداث تعيش في الذاكرة بكل تفاصيلها، ألم يكن ما رأيته فعلًا نوعًا من الاستبصار بالمستقبل عن طريق الحلم؟ وهل يمكن أن نفسر ذلك باختراق حاجز الزمن؟

وماذا عن علاقات التوائم ببعضها وعن التخاطر فيما بينها؟عن سلوكيتها وآلامها المشتركة.. أحاسيسها.. ميولها.. توجهات عواطفها؟

قبل سنتين كان (دونالد كيث) وهو مهندس يعمل في (روك فيل) يسير نحو مكتبه في الشركة أحس بآلام شديدة في أعلى فخذه تشبه

(*) أوردت ذلك الحلم وماحدث بعده.. بالتفصيل في روايتي(أحزان السندباد)-منشورات اتحاد الكتّاب العرب- دمشق.

تيارًا كهربائيًا يسري ويصعق فيؤلم.. تحدث مع أحد أصدقائه بالهاتف فذكره بأن السبب قد يعود إلى مايسمى بالألم المشترك الذي قد يصيب التوائم المتماثلة أحيانًا.

ورغم أن (كيث) لم يأخذ الأمر محمل الجد إلا أنه تساءل فعلًا عن سبب الألم الذي أصابه وهل حقًا يشعر أخوه (لويس) وهو توأمه المماثل بنفس الألم؟وكان (لويس) يعمل في شيكاغو طبيبًا في مستشفى للولادة، ولم يترك تلك التساؤلات تزداد إلحاحًا عليه فاتصل بلويس، الذي أخبره أنه أصيب بجرح في أعلى عضلة فخذه ويقول كيث: ((لقد وقف شعر رأسي فعلًا عندما سمعت ذلك من أخي التوأم)).

إن الألم والإحساس المشترك للتوائم المتماثلة قد شغل العلماء في السنوات الأخيرة خاصة أن التجارب الكثيرة التي أجريت على ذلك، قد أكدت فعلًا وجود مثل هذا الألم والإحساس المشترك وقد أثار ذلك تساؤلات لا تنتهي عن التوائم ونفسها التي لا تحصل إلا بنسبة (4) من ألف حالة ولادة.هل تتعامل التوائم مع بعضها بالتخاطر أو تبادل الأحاسيس عن بعد؟هل تفكر التوائم بطريقة متشابهة أيضًا..؟

وقد درس العلماء حالات كثيرة من التوائم في محاولة لفهم المزايا العقلية والبدنية التي تؤثر بها الوراثة أو التي تكتسب بالتربية والبيئة والحياة اليومية ورغم كل ذلك وكل تلك الدراسات مازال الأمر محيرًا.. فعند البحث في أوجه التشابه الكبيرة بين التوائم المتماثلة وما يمكن أن يحدث لهما ولمعيشتهما ولأحاسيسهما لو كانا بعيدين عن بعضهما فدونالد كيث يعتقد أن هناك أمورًا غريبة تحدث عند التوائم

المتماثلة فهو يستطيع بواسطة (التركيز الفكري)أن يجعل توأمه لويس يتصل به هاتفيًا عندما يريد. أي أنه يتمتع بقدرة على جعل شقيقه يبث رسائل هاتفية له عدة مرات في الأسبوع ويؤمن كما يقول: بوجود ما يشبه النوافذ الكهربائية في الدماغ بحيث أنه في حالة التوائم المتماثلة تكون تلك النوافذ أكثر انفتاحًا مع بعضها البعض في البث والتلقي ويمكن أن يكور إرسال الرسائل عن طريق الدماغ بين التوائم المتماثلة بشكل يجعل كلا منهما يفهم ما يقوله الآخر وما يفكر به وما يشعر به أيضًا.

وهناك حالة فريدة للتوائم المتماثلة في الولايات المتحدة وهي حالة التوائم (جيم ولويس) اللذين انفصلا بعد أربعة أشهر من ولادتهما وعاشا (48) عامًا بعيدين عن بعضهما وقد ظهر للدارسين أنهما تزوجا من امرأتين كل منهما تحمل اسم (ليندا) ثم طلقاهما وتزوجا امرأتين تحملان اسم (بيتي) أيضًا وكانت أسماء أولادهما متشابهة، وكان كل منهما يقود نفس نوع السيارة وله نفس الهواية ويقضي عطلته في مكان مماثل وكان كل منهما يملك كلبًا بنفس الاسم.

توأم آخر وصل عمر كل منهما إلى (94) عامًا يقول أحدهما بأن شقيقه يفهمه تمامًا وتربطه به صداقة حميمة ولا يستطيع أن يمضي يومه دون أن يراه وهو على حد تعبيره يفهمني أكثر مما تفهمني زوجتي.

ويتساءل الدارسون لهذه القضايا هل تخضع الأمور للصدفة؟أم أن ما يحدث للتوائم المتماثلة سببه الجينات أو المورثات التي تلعب دورًا فاعلًا في جعل المشاعر متشابهة رغم الانفصال البيئي؟ فهم يشتركون

بدقة بنفس الجينات التي انقسمت عند انقسام البيضة الملقحة بشكل متساو تمامًا.

ويقول معهد (كريكور مندل)لدراسة التوائم في روما: ((التوائم لا تشكل بالنسبة لنا فضولًا للدراسة فقط،إنما نظرية علمية تعد بكشف الكثير من أسرار الحياة البشرية)).

وفي معهد (مندل)في روما اكتشف الدكتور (كيدا) وزملاؤه خصائص مدهشة في حالات التوائم المتماثلة ويقول (كيدا) مؤسس معهد مندل عام 1953أن التوائم المتماثلة تتعامل بعفوية وخاصة التوائم الأنثوية حيث تحدث لهذه التوائم أول دورة شهرية في نفس الوقت وتصاب التوائم المتماثلة بوجع الأسنان في وقت واحد وتخلع أضراسها معًا كما أن الصلع إذا أصاب أحدهما أصيب به الآخر أيضًا.

وفي دراسة لتوماس بوشارد من مينسوتا على (350) توأمًا متماثلًا اكتشف أن هذه الأزواج التوأمية العجيبة متشابهة فيما بينها تشابهًا مذهلًا في عدة صفات شخصية رئيسية تلعب فيه المورثات الدور الرئيسي . وقد اكتشف (بوشارد) أن 61 ٪ من الشخصيات القيادية أتت بالوراثة وللمورثات أيضا دور هام في تقبل التجارب وفي الخيال المجنح والتوتر العصبي وحب المغامرة وحالات الإحباط النفسي.. ولكن للبيئة أيضًا دورًا هامًا في اكتساب بعض المواصفات كالنزعة العدوانية والاختلاط الاجتماعي والعلاقات الإنسانية وكلها تؤثر التربية عليها تأثيرًا مباشرًا.

(2)

التنبؤ العلمي هل له علاقة بالطاقات الكامنة؟

هل يتمكن إنسان وصل إلى درجة عالية من المعرفة أن يتنبأ بطريقة صحيحة، بحدث ما، باختراع ما،بتغير يطرأ على الحياة البشرية؟ وهل يمكن استقراء المستقبل المحيط بفرد من خلال دراسة المناخ المحيط به وسلوكه وعلاقاته؟

أسئلة كثيرة تتوارد في الذهن ونحن نشهد عصرًا معرفيًا متطورًا تحققت فيه ما كان قبل قرون أحلامًا تراود الذاكرة وتبدو مستحيلة التحقيق.

تحدثت أساطير وحكايات كثيرة عن مرآة سحرية يرى فيها الإنسان أي مكان بعيد عنه ونحن حاليًا يمكننا بواسطة جهاز التلفزة أن نتتبع أحداثًا تجري بعيدًا عنا آلاف الكيلومترات إما بشكل مباشر عن طريق الأقمار الصناعية أو أحداثًا مسجلة تعرض أفلامها بعد ساعات من حدوثها..

هل كانت المرآة السحرية في تلك الأساطير والحكايات حلمًا ممزوجًا بالرغبة والخيال المجنح أم أنها نوعًا من الحدس وتثوير الطاقات الكامنة عند من تخيلها أول مرة في الماضي السحيق؟ وما ينطبق على المرآة السحرية ينطبق على البساط الطائر وعلى الحصان المجنح وعلى المصباح السحري؟

لقد تنبأ جون أدامز الانكليزي عام 1845بوجود كوكب آخر وراء أورانوس نتيجة انحراف أورانوس وتأرجحه في مداره وحدد مكانه بالمعادلات الرياضية والحسابات الدقيقة وتوصل الفلكي الفرنسي ليفرييه عام 1846 إلى نفس الحسابات والناتج حيث توجهت المراصد نحو المكان المفترض للكوكب المجهول لأن ليفرييه كان فلكيًا مشهورًا في ذلك الحين بينما كان أدامز شابًا متحمسًا مغمورًا لايعرفه أحد ولم يثق بنتائجه أحد.وهكذا تمكنت المراصد من تتبع الكوكب المجهول في المكان المفترض وأطلقوا عليه اسم (نبتون) ومع بداية هذا القرن تنبأ العالم الكبير (لوول) بوجود كوكب آخر في المجموعة الشمسية بعد نبتون نظرًا لانحراف الأخير عن مساره واضطراب حركته، وظل (لوول) لسنين عديدة غارقًا في حساباته الدقيقة ومات قبل زمن طويل من اكتشاف الكوكب الجديد حتى كان عام 1930 حيث تمكن شاب فلكي من رصد الكوكب المجهول في نفس المكان الذي افترضه لوول وأطلق عليه اسم (بلوتو). وكان لهذا الاكتشاف ضجة كبيرة في الأوساط العلمية إذ تضاعفت الثقة في نفوس الباحثين وأثبتوا أن علم الفلك ليس علمًا مبنيًا على التخمين والحدس بل هو قائم على أسس رياضية متينة. كما تنبأوا بوجود كوكب عاشر نتيجة انحراف كوكب بلوتو أيضًا.. وفي عام 1978 اكتشف جيمس كريستي قمرًا تابعًا لبلوتو أطلق عليه اسم كارون.. وفي عام 2004 اكتشف الكوكب العاشر في المجموعة الشمسيّة وأطلق عليه اسم (زينا)..

هذه التنبؤات العلمية تستند إلى منطق رياضي يحتم أن لكل تأثير معين هناك مؤثر فما دام نبتون ينحرف قليلًا عن مساره الصحيح

ويخضع لقوة مجهولة يجب أن يكون وراء تلك القوة مؤثر أو جسم بجاذبية معينة هو الذي يسببها فيحرف نبتون قليلًا عن مساره الذي يجب أن يكون عليه فيما لو لم تكن تلك القوة موجودة.. وكذلك الحال بالنسبة لبلوتو..

بالمنطق الرياضي وتثوير الطاقات الكامنة يمكننا الوصول إلى إجابات كثيرة عن أسئلة صعبة: لماذا يزداد الضغط الجوي مثلًا على الأرض بينما يكون هذا الضغط أقل بكثير على ارتفاع خمسة كيلومترات؟ لماذا لا يوجد غلاف جوي حول القمر؟ لماذا تشع الشمس الحرارة والضوء؟

***

ولكن ماذا عن تنبؤ الخيال العلمي.. هل له علاقة بالطاقة الكامنة للإنسان في الاستبصار بالمستقبل؟

لقد تنبأ جول فيرن رائد الأدب العلمي باختراع الغواصة واختراع الطائرة النفاثة والهبوط على القمر.. وتحققت كل تلك التنبؤات.. كما تنبأ جورج أورويل مع التقدم التقني والتطور بأنظمة إرهابية ديكتاتورية تلاحق الناس وتسفّه أحلامهم وتستعبدهم لخدمتها وتغير التاريخ وتزور الحقائق كان ذلك عام 1947وذلك في روايته 1984.. .ونماذج هذه الديكتاتوريات تبدو واضحة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وشرق آسيا.. وتنبأ (ويلز) في (الغذاء السحري) بأنواع ضخمة من الحيوانات والطيور الأهلية تستخدم في المداجن والمزارع وتصدر في علب محفوظة.. تدرّ الكثير على منتجيها وقد تمكنت البحوث الزراعية

من الوصول إلى إنتاج حيواني مهجّن لسلالات نقية سمينة ضخمة والأبحاث مستمرة لزيادة حجومها وأوزانها وكذلك الحال بالنسبة للطيور الأهلية كالدجاج والبط.. وقبل قرن تنبأ (ليوناردو دافينشي) بالطائرة المروحية ورسم مخططات وتصاميم لمحركات دقيقة تحققت جميعها.

إن قراءة معطيات علمية في حقل معين تمكن الباحث أن يتنبأ بما يمكن أن ينجزه العلم في هذا الحقل ضمن تلك المعطيات أو ضمن معطيات متكورة عنها.. ففي أواخر الخمسينيات والستينيات تطورت علوم الفضاء إلى درجة كبيرة جعلت المتنبئين وكتاب القصة العلمية يعتقدون أنه لن نصل إلى أواخر القرن العشرين إلا ونكون هبطنا على المريخ واجتزنا المشتري وزحل وهبطنا على ميماس أحد أقمار زحل، ولكن التنافس في مجال غزو الفضاء قد تضاءل منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي واقتصر على التنافس في إطلاق المجمعات المدارية والمحطات الفضائية والأقمار الصناعية حول الأرض.. وأحيانًا عبر الفضاء الكوني بمحطات أوتوماتيكية غير مأهولة ولم يصل الإنسان إلى المريخ وقد لا يصل إليه في السنوات القادمة بطريقة دراماتيكية كما حدث عند غزو القمر..

المهم أن شطحات التنبؤ بالخروج من المجموعة الشمسية نحو مجموعة مجاورة لها لن يحدث حتّى في هذا القرن كما تدل على ذلك المعطيات العلمية التي نعرفها وضمن نفس المنطق الرياضي الذي نؤكد على فاعليته.

ولكن يبقى التنبؤ العلمي والخيال العلمي في مساره المنطقي أمرًا مهمًا جدًا في عصر العلم الذي نعيشه..

يمكننا القول مثلًا أن الإنسان الذي يميل للرفاهية وقلة الحركة والاعتماد الكلي على التكنولوجيا في حل مشاكله اليومية، ستتكدس الشحوم في جسمه وستخلق له مضاعفات: زيادة في الكولستيرول، الرخاوة، هشاشة الأعضاء تجاه أي مؤثر خارجي.. وبالتالي تسهل إصابته بالمرض والجلطة والسرطانات.. بينما نرى أن الإنسان كثير الحركة الرياضي الذي يعتمد على عضلاته أحيانًا ويمشي كثيرًا ولا يدخن أو يشرب الكحول أقل عرضة للمرض بكل أنواعه، في الشخص الأول نجد أن مقأومة الجسم ضعيفة بينما في الثاني تكون متوافرة بكل طاقاتها تقريبًا.

جو القرية البعيد عن التلوث، النقي، أفضل بكثير من جو المدينة الملوث.. وبالتالي فسكان الريف البعيد عن الصخب وأبخرة الآلات، أطول عمرًا من سكان المدن.. وهذه حقيقة علمية .

يمكننا في هذا السياق أن نتنبأ بحقيقة علمية هي أن الريفي المتعلم الذي يعيش في وسط نقي أطول عمرًا من ابن المدينة.. طبعًا هذا الكلام قد لا ينطبق على أغلب مناطق ريفنا لأن بعض هذه المناطق أصبحت تنافس المدن في التلوث والصخب وكثرة الآليات التي ترسل الأبخرة والدخان ولقرب غالبية تلك المناطق من مراكز التصنيع.

***

في عام 1982 في الثاني والعشرين من كانون الثاني التقيت (راجيف غاندي) في مؤتمر الشباب العالمي في نيودلهي وكان ضمن وفد الهند – شباب حزب المؤتمر الهندي الحاكم- وفي الرابع من تشرين الأول 1982 أجريت معه حديثًا نشر في الكفاح العربي صفحة 34 – 35 بعنوان هل يصبح حفيد نهرو رجل الهند المقبل؟ تنبأت فيه بأن هذا الشاب الرقيق اللطيف الذي يتمتع بشخصية قوية هادئة هو الذي سيحكم الهند في السنوات المقبلة.

كانت السيدة (أنديرا غاندي) عندها في أوج عطائها وقوتها ولم يكن يبدو في الأفق أي كدر يمكن أن يعطل الجو السياسي للهند. ولد (راجيف غاندي) في آب 1944 ودرس في بريطانيا وتخرج مهندسا للطيران.. وكان يعمل في الخطوط الجوية الهندية حين توفي أخوه (سانجي) بعد شهور قليلة من عودة حزب المؤتمر إلى الحكم بعد نجاحه الساحق في الانتخابات عام 1980.. وقد توفي (سانجي) نتيجة تحطم طائرة مروحية كان يستقلها فوق (دلهي).. وهكذا اندفع راجيف إلى العمل السياسي بتشجيع من والدته ليصبح المرشح الوحيد المؤهل لاستلام السلطة في الهند بعد اغتيال السيدة (غاندي) في 30 تشرين الأول / أكتوبر 1984 .

كان حواري معه طويلًا وصريحًا في إجاباته.. وكان دقيقًا لدرجة جعلتني أشعر تمامًا أن هذا الشاب الرقيق الحاد الذكاء سيصبح رجل المستقبل السياسي في الهند.. كان هذا الإحساس قبل 25 شهرًا من مجيئه إلى الحكم بعد سلسلة متسارعة من الأحداث،عجلت بتحقيق

هذه النبوءة التي أملتها علي في ذلك الحين أحاسيسي إضافة لقراءتي المتأنية للواقع السياسي في شبه القارة الهندية .

ما من شك في أن تلك النبوءة إن صح تسميتها أتت بعد قراءة منطقية للظرف الذي وجد فيه راجيف غاندي ولشخصيته الهادئة القوية أيضًا.إن الأحداث الدامية التي حصلت بعد الاغتيال المفجع للسيدة غاندي وكنت حينها في الهند أراقب تلك الأحداث العاصفة، وأنا متوقع تمامًا أن راجيف ليس الشخص الذي تتحكم فيه ردود الأفعال ليرد على عملية اغتيال والدته بردود فعل انتقامية ضد السيخ (من قتلة والدته) كما توقّع البعض.. وقد تصرف بهدوء وذكاء جذب إليه الأنظار وتوقع المعلقون والباحثون له مستقبلًا كبيرًا كرجل دولة عظيم..

وفي ختام لقائي معه المنشور في 4تشرين الأول من الكفاح العربي أكد راجيف غاندي أن قانون الطوارئ غير ضروري: ((نحن لانستطيع أن نجبر إنسانًا على فعل شيء بالقوة أنه يتمتع بحرية مطلقة ضمن حدود القانون)) ورغم ماجرى بعد ذلك فلم يفرض قانون الطوارئ وحقق بحنكته الحد الأعلى من وحدة الشعب الهندي في ولاياته الـ (26) رغم الظروف والضغوط السياسية الكبيرة من حوله..

مثل هذا التنبؤ العلمي إن صحّتتسميته فرضته كما ذكرنا قراءة متأنية للمناخ السياسي والشخصية السياسية نفسها التي كان التنبؤ محورها.

وهناك أمثلة عديدة على تنبؤات علمية في الحقل السياسي تحققت تمامًا لأنها انطلقت من دراسة الظروف العلمية المحيطة بها..

مثال آخر على تنبؤ علمي تحقق بعد سنوات من صدور روايتي (العابرون خلف الشمس) التي نشرتها عام 1979.. تحدثت فيها عن كوكب الأرض بعد حرب نووية كيف سيحل الظلام نتيجة تكاثف سحب الدخان والأتربة لشهور طويلة وعن الآثار التي ستتركها تلك السحب على الحياة، كأنني أصف الشتاء النووي قبل سنوات من نشر نظريته من قبل علماء من دول متطورة.. وربما ساهمت تصوراتي عن قوة الانفجار النووي في تقريب تلك الصورة الحقيقية لآثار الانفجار وفي تشكل السحب وحجب الشمس وبالتالي تحقيق البرودة والظلام كما في نظرية الشتاء النووي..

وقد شرحت نظرية الشتاء النووي بعد سنوات من ذلك بشكل مقارب تمامًا.. الخيال العلمي المكتوب ضمن سياق علمي منطقي يصبح نوعًا من النبوءة العلمية ممكنة التحقيق.. وليس كل من يكتب خيالًا علميًا تتحقق نبوإته فقد اتسع انتشار هذا النوع من الكتابة في السنوات الأخيرة لدرجة أنه امتلأ بأنواع من الخيال الغث البعيد عن المنطق العلمي..

فلو قلنا أن الشمس ستتوقف في مدارها كما تتوقف حولها الأرض والكواكب وتخيلنا رواية مليئة بالأحداث حول هذا التوقف الغريب كما فعل الروائي الانكليزي (فاركوستاتن) في روايته (عندما يتوقف الزمن) لكان الخيال بعيدًا عن المنطق لأنه يخالف كل القوانين العلمية الرياضية.. وهذا الخيال لايمكن أن يصبح نبوءة علمية لافتقاده العناصر الضرورية للخيال العلمي.

(3)

قدرات الإنسان كبيرة
إنما هو كسول إلى حدّ كبير في الكشف عنها

كنت أحاول النوم لأن لدي عملًا كثيرًا في صباح الغد في ساعة مبكرة وكانت الساعة تقارب الثانية عشرة، ولكن قلقًا غامضًا أصابني لدرجة منع عن عيني النوم وأنا أتقلب على الفراش نهضت وكانت الساعة تقارب الثانية عشرة والنصف وحاولت الجلوس خلف طاولة تتكدس عليها أوراق البحث الذي أعده، ولكنني لم أستطع فوطنت نفسي على العودة إلى الفرأش ومحاولة النوم وأنا أفسر هذا القلق الغامض بكثرة فناجين القهوة التي شربتها في ذلك اليوم، رغم أنها حقيقة أقل من المعتاد، ولم تمنع عني النوم يومًا.. وأخيرًا غفوت وكانت الساعة تقارب الواحدة، رأيت في الحلم أنني في المسجد وهناك جمع غفير، وفي الأمام ثلاثة توابيت، وفجأة اقترب التابوت الأوسط مني حاولت أن أبتعد ولكنه ازداد اقترابًا ثم توقف على بعد خطوة واحدة، وأنا مذهول خائف.. استيقظت، كانت الساعة تقارب الواحدة والربع وكنت أحس بالخوف والذهول وأنا أتخيل اقتراب التابوت مني، وعاد إلي القلق من جديد نمت نومًا متقطعًا مزعجًا.. وفي الصباح الباكر طرق علي الباب أحد أقربائي يعلمني أن والدتي قد توفيت في الليل، وكان أهلي يقيمون في مدينة أخرى تبعد عن دمشق نحو ثلاث ساعات ونصف وكان المطر يهطل بغزارة والسفر بهذا

الطقس غير المأمون.. حدثت لي حوادث وأنا أقود سيارتي (البيك آب) عطلتني عن السفر قليلًا.. ولكنني وصلت في نحو الواحدة ظهرًا إلى منزل أهلي.. والشيء الذي لا أنساه طيلة حياتي، هو أنه في تلك الساعة التي قلقت فيها واقترب مني أحد التوابيت أي الواحدة والربع صباحًا كانت أمي حينها تحتضر، وفي المسجد قبل الدفن كان المنظر الذي رأيته في الحلم ثلاثة توابيت موضوعة أمام جمع غفير هو نفس المنظر الذي رأيته وتابوت أمي ممدد وسط تابوتين كما في الحلم..

حادثة حقيقية حدثت قبل أشهر رواها لي وهو يرتعش خوفًا، صديق يحمل دكتوراه في العلوم وقلما يبحث معي في مثل هذه القضايا.. كان مستغربًا وهو يروي لي كيف رأى أمه متوفاة في الحلم وهو يبعد عنها نحو (400) كيلو متر.. ومثل هذه الحوادث كثيرًا ما يرويها الناس وقد لا تحمل في بعضها أية مبالغات.. وتنتمي تفسيراتها إلى ما يسمى بقدرات الحاسة السادسة أو الرؤية المستقبلية المسبقة.. والتواصل عن بعد.

كان صديقنا هو الابن البكر في العائلة وكان مقربًا من والدته، ومتعلقًا بها ومارآه في الحلم ليس سوى رؤية مسبقة انتقلت إلى اللاشعور عنده فأقلقته ومنعت عنه النوم في البداية.. وحين نام بعدها رأى التوابيت الثلاثة ورأى الأوسط منها يتقدم نحوه دون أن يدري أن ما رآه كان سابقًا للحدث أكثر من 13 ساعة وأن التابوت الأوسط نفسه كان تابوت والدته المتوفاة..

إن العلماء والباحثين قد اتجهوا في السنوات الأخيرة لدراسة هذه القدرات عند الإنسان وتطويرها، وأصبح علم نفس الحاسة السادسة والطاقات الكامنة علمًا قائمًا بذاته لا أوهام فيه ولا خرافات..

وأذكر أنني كنت أود الانتقال من (كويتا) وهي مدينة باكستانية تقع إلى الجنوب من الحدود الأفغانية إلى (تفتان) على الحدود الإيرانية.. وحين هممت بالصعود إلى إحدى الحافلات التي تنقل الركاب بين المدينتين والتي تستغرق في رحلتها نحو (20) ساعة في منطقة أغلبها صحراء قاحلة.. أحسست بالانقباض وأنا أحاول أن أضع حقيبتي بين أثاث الركاب، وقد أفسحوا لي مقعدًا أماميًا، ازددت انقباضًا والمعاون ينادي الركاب.والسائق يبتسم في وجهي وقد أحس من سحنتي أنني غريب عن البلاد.. وحين أوشكت الحافلة على الحركة صعد راكب جديد يبحث عن مقعد وسط الجموع المكتظة ودون أن أشعر، حملت حقيبتي ودعوته للركوب مكاني..

وبعد نحو ساعة ولم أكن عندها أحس بالندم لما فعلت، صعدت إلى حافلة أخرى وبعد نحو ست ساعات من السفر المتواصل توقفت الحافلة فجأة لنعاين نحن الركابالحافلة التي تقدمتنا وقد انقلبت على جانبي الطريق وقربها عدد من الناس المتجمعين بفضول، وقد توقفت سيارة إسعاف انشغل رجالها بإخراج بعض الجرحى الذين حشروا داخلالحافلة..

هل كان الإحساس بالخطر هو الذي أملى عليَّ ما فعلت وقد كشفت حاستي السادسة عنه؟

إن الإنسان قد يتلقى بإحساسه الغامض إشارة الخطر ويستطيع إذا طوّر قدراته أن يحذر من يراه من خطر داهم أيضًا.. .. وهذا القول يحتاج لتفسير وشرح يلزم لتحقيقه إعطاء فكرة واضحة عن علم الباراسيكولوجي، علم نفس الحاسة السادسة.. والطاقات الكامنة..

يتمتع الإنسان بقوى خارقة ولكنه لا يستثمر سوى جزء ضئيل جدًا من هذه القوى وهذا المبدأ هو الذي يجعل من يطوّر قدرته ويستثمر جزءًا أكبر منها،يقوم بأعمال تبدو خارقة لآخرين.. كالذي يدفن نفسه لثمانية أيام في قبر.. ثم ينهض صحيحًا معافى، أو الذي يرتفع بجسمه فوق الأرض متغلبًا على قوانين الجاذبية المعروفة أو كالذي يخفض من عدد نبضات من عدد نبضات قلبه إلى أقل من عشر نبضات في الدقيقة وجميع هذه الحالات رأيناها وجهًا لوجه، وعاينا صحتها مباشرة، وتأكد لنا أنها حقيقة رغم أنها تبدو خارقة للناس..

بعد أن فحص الأطباء جثة أحد المعمرين الذين عاشوا نحو 138 عامًا في جبال البيرينيه في فرنسا أواخر الستينيات تأكد لهم أن جسم الرجل مصاب بأمراض كثيرة أحصوها فوجدوا أن عددها يقارب الـ (40) مرضًا تكفي الإصابة بأحدها فقط لقتل الإنسان.. وحين سألوا زوجته – وهي في عمر يزيد عن المائة سنة – قالت لم يكن يشتكي من شيء.. كان أحيانًا يقول لي بطني يؤلمني فأقول له لماذا لا تراجع الطبيب، ولكنه يجيب لا بأس أنها أزمة عارضة ثم ينسى ألمه ولا يعود يتذكره.. .وكان يقول أحيانًا أحس بصداع شديد ثم يكرر نفس اللازمة لن يلبث أن يزول لا بأس..

هذه القصة الحقيقية تبين مدى قدرة الإنسان على تحمل المتاعب، مادام قوي الإرادة فلو استسلم لليأس لدى أقل عارض صحي يصيبه فإن صحته سرعان ما تتدهور، وربما كان في ذلك هلاكه.. وهناك أنواع من الناس ممن يمكن أن نسميهم بمرض الوهم.. يتوهمون الأمراض ويحسون بآلامها، دون أن يكونوا مصابين فعلًا بها.

وتروى الكتب قصصًا كثيرة عن مثل هؤلاء الناس، الذين يمرضون بالوهم ويتشبث بهم الوهم نفسه حتى يقتلهم.. مثل ذلك الصيدلي الذي سمح بانتشار وباء الكوليرا وأتى إليه بعض الناس يطلبون أدوية ضد الإسهالات الشديدة..

وقد تخيل وهو يغلق صيدليته في المساء أن معدته تؤلمه وأن مغصًا حادًا يقطع أمعاءه فأيقن أنه مصاب بالكوليرا وكبر الوهم في نفسه شيئًا فشيئًا وهو يقطع الخطوات الأخيرة إلى داره التي تبعد عن مكان عمله نحو كيلومترين.. وكان يقطعهما يوميًا سائرًا على قدميه ولم يصل إلى باب منزله حتى سقط على الأرض يتقلب من الألم.. ورآه أحد جيرانه ممددًا على الأرض وحين رفع رأسه وجده ميتًا وقد خاف فعلًا أن يكون مصابًا بالكوليرا ولكن الطبيب قال لزوجته وهو يتفحص الجثة – زوجك مات بالوهم وليس مصابًا بأي مرض عضوي–

النفس البشرية فيها كثير من القدرات الكامنة.. ولكن على الإنسان كما قلنا أن يستخدم هذه القدرات لا أن يضيع طاقاته في السعي لكسب عيشه والصعود في السلم الاجتماعي واللهاث وراء المركز والشهرة.. وكلما ارتفع ازداد أنانية ونرجسية.. وخفت بالتالي قدراته الإيجابية.

إن الإرادة في التصميم يمكنها قهر الصعاب مهما أشتدت ولو طور المرء قدرة التخاطر عنده لصنع المعجزات.

وقد عاش كتاب كبار أثروا بالإنسانية بإبداعاتهم، هوس قدرات الإنسان الأخرى غير المستعملة ويروى عن (تشارلز ديكنز) الكاتب الانكليزي المشهور أنه كان يخلص زوجته من أرقها الدائم بأن ينومها مغناطيسيًا، وكان التنويم المغناطيسي مشهورًا في القرن التاسع عشر ويروى عن ديكنز عندما سافر إلى أمريكا، أنه التقى بالكاتب الأمريكي(ادغار الن بو) وأن بو الذي كان يعيش حياة غامضة، كان مولعًا أيضًا بالتنويم المغناطيسي وقد دعا ديكنز ليريه كيف نجح في تنويم رجل يحتضر مغناطيسياً وأن الرجل نائم بين الحياة والموت منذ فترة طويلة.. وحين رأى ديكنز الرجل المحتضر وهو يتمتم بخفوت ((أرجوك دعني أموت)) وكان يعني بو بذلك.. يرجو ديكنز عندها من بو أن يريح الرجل ويدعه يموت بهدوء فينفجر بقهقهه مدويّة: ((إن روحه لا تزال في جسده وفي استطاعتي أن أطيل مدة احتضاره لأسابيع طويلة..))

ولكنه مع الحاحات ديكنز ينقذ الرجل من نومه المغناطيسي فيرى ديكنز عندها منظرًا مرعبًا مقرفًا: آلاف الديدان تخرج من جسد الرجل الذي بدأ يتفسخ ويتشوه بسرعة غريبة.

ورغم أن التنويم المغناطيسي أصبح علمًا قائمًا بذاته.. فإن استخداماته لاتزال محصورة في عيادات الأطباء النفسانيين.. وقد نجح التنويم المغناطيسي في الكشف عن كثير من الحوادث الكاذبة التي

رواها الناس عن الأطباق الطائرة كما أكد أيضًا بعض هذه الحوادث.. إذ تطابقت أقوال الشخص قبل تنويمه وبعد تنويمه..

ففي 19 أيلول عام 1961رأى (بارني هيل)الموظف بمصلحة البريد وزوجته بيتي وهما يقطعان الطريق الجبلي في (وايت ماونتس WHITE MOUNTES) – الجبال البيضاء – نجمة مضيئة تلمع أمام القمر ظناها قمرًا صناعيًا ولكن الضوء كان في ازدياد إلى أن رأيا جسمًا طائرًا متحركًا أصبح فوقهما وحين أوقف بارني السيارة وخرج منها رأى سلمًا صغيرًا ينزل من الجسم الدوراني وبدأت السيارة تهتز وحين دخلها وحاول تشغيلها لم يفلح وأحس وزوجته برعشة كهربائية وصوت أزيز ودغدغة ودوار ثم فقدا الوعي.. وبعد مدة عادت إليهما ذاكرتهما فرأى بارني أنه يقود السيارة وزوجته إلى جانبه في مكان يبعد عن المكان الذي فقد فيه الوعي مسيرة ساعتين ونصف أما كيف حصل ذلك وماذا جرى لهما خلال تلك المدة فظلت عندهما لغزًا حتى كانون الثاني عام 1964عندما ظهرت قرحة معدية عند بارني.. وأقنعه صديقه ((والتروب)) وهو يعمل في لجنة البحث في الأحداث الجوية أن يراجع وزوجته الدكتور ((بنيامين سيمون)) وهو طبيب نفساني مشهور.. طبق عليهما التنويم المغناطيسي مصممًا على معرفة مدى صدق الحادثة التي رواياها عن الجسم الطائر، الذي وقف فوق سيارتهما في الجبال البيضاء قبل نحو عامين وأربعة أشهر.. ووضع الطبيب حاجزًا فكريًا بينهما كيلا يتمكنا من تبادل المعلومات وكيلا يتفقا حول أمور معينة.. وقد سمع الطبيب وهو يستجوبهما قصة مذهلة عن لقاء من النوع الثالث جرى معهما إبان الساعتين والنصف التي فقدا خلالها الوعي..

لقاء كائنات من عوالم أخرى ترتدي ألبسة غريبة وحين تبادل الزوجان الحديث مع تلك الكائنات عرفا أنهما من مكان بعيد في المجرة وقد رسما صورة اتفقا عليها تمامًا عن مكان الكوكب الذي تستوطنه تلك الكائنات.. ولامجال هنا لذكر تفاصيل تلك الحادثة لأنها هزت الرأي العام الأمريكي حال الإعلان عنها من قبل الطبيب النفسي..

وأكدت العالمة الفلكية الأمريكية (مارغوى فيش) أن الخارطة التي اتفق الزوجان على رسمها تمثل جزءًا من كوننا وأشير فيها إلى النجمة سيتا التي تبعد عنا 36 سنة ضوئية..

ولكن هل يمكن استبعاد الخيال في حالة الاستجواب عن طريق التنويم المغناطيسي؟ لقد أكدت الأبحاث أن ذلك غير مستبعد ولكن في حالة بيتي وبارني تبدو العملية مقنعة كما أكد أطباء النفس.. والحديث يطول ويطول حول قدرات الإنسان والحاسة السادسة ولغة التخاطر والتنبؤ بالمستقبل .

***

وفي إحدى العيادات العادية في مدينة (نيزهني تأجيل) في جبال الأورالأسرت روزا كواليشوفا وهي فتاة في الثانية والعشرين من عمرها إلى طبيبها أن بإمكانها أن ترى بأصابعها وقدمت له الدليل على ذلك إذ طلبت منه أن يغطي عينيها جيدًا وبدأت تمرر أصابع يدها اليمنى على صورة أعطاها لها الطبيب ليختبرها وأخذت تحدد ألوان الصورة بدقة مدهشة ثم مررت أصابعها على إحدى الصحف وأخذت تتحسس

الكلمات والسطور وتقرأ للطبيب ما كتب بدقة مدهشة كان ذلك في ربيع عام 1962 وقد ولدت روزا في نيزهني تاجيل في تلك المدينة الصناعية التي اشتهرت بمناجمها كانت حياتها رتيبة هادئة مغلفة بالأحلام الوردية.

ومنذ السادسة عشرة من عمرها وهي تشرف على فرقة مسرحية للعميان في المدينة وقد أصيب بعض أهلها بالعمى فتعلمت روزا معهم القراءة على طريقة (برايل) ورغم قصرها وسمنها كانت تحلم بأن الحياة ستفتح أمامها على مصراعيها وستتحقق كل ماتصبو إليه وقام طبيبها الأخصائي بالأعصاب بعدة تجارب عليها حيث تعرفت على لون وشكل منحن مرسوم على جهاز ذبذبة إلكتروني كما قرأت نص مسألة حسابية وتمكنت بسرعة كبيرة من تخطي كل تلك التجارب التي أجراها عليها وهذا مادعاه لإشراكها في المؤتمر الإقليمي لرابطة (النفسانيين) الذي انعقد في (تاجيل) في خريف عام 1962.. وقد أحاط المؤتمرون عينيها بعصابة كثيفة، وبدأوا بإجراء اختباراتهم أيضًا وحين سألوها عن سبب تلك القوة الخارقة أجابت (روزا) للتو: ((منذ ست سنوات وأنا أتدرب على ذلك لعدة ساعات في النهار.. وأحلم أن أجعل العميان يرون بأصابعهم ويقرأون الكتب المطبوعة بالطريقة العادية وليس بطريقة برايل، وأن يروا الصور الملونة ويقرأوا الصحف)).

وأصبحت روزا بعد المؤتمر معجزة (التاجيل).. وهو اسم المنطقة التي تعيش فيها.. .ووصلت إلى موسكو حيث أجرى أخصائيو أكاديمية

العلوم اختباراتهم عليها.. فنجحت نجاحًا منقطع النظير، وأصبحت محط أنظار العالم.. وحين فحصها فريق من البحاثة في عيادة الطبيب النفسي في (سفردلوفسك) تحت إشراف الدكتور (شافر) الأخصائي النفسي المشهور.. تبين أن روزا يمكنها أن ترى بأصابعها رغم الحواجز السميكة.. وهي لاتملك الحساسية الخاصة التي اعتقدوا أنها تملكها والتي تسمح لها بالتمييز بين حبيبات الأصبغة، على اختلاف أنواعها، وتعرفت الأصابع على الألوان خلف لوح من الزجاج وقرأت كتابات ونوطات موسيقى.. وحين سخّن الدكتور شافر لوحات الألوان الباردة كالأزرق والبنفسجي، وبرّد لوحات الألوان الساخنة كالأحمر، ظلّت روزا ترى بأصابعها ولم يطرأ على حاستها أي تغيير، ودون أدنى شك تأكد لدى العلماء أن روزا تتمتع بموهبة خارقة وطاقة كامنة تمكّنها من استشفاف ماحولها بأصابعها دون استخدام عينيها.

وبدأ الأطباء ينتبهون لمثل هذه الظاهرة التي تكررت أكثر من مرة.. وبدأوا يدرسون قدرة بعض العميان الذين فقدوا أبصارهم في حوادث طارئة، على الإحساس بمن حولهم وتخيلهم بشكل يقارب الحقيقة..

***

وفي بلغاريا تعيش العرافة العمياء (فانكا) التي تستطيع عن طريق ملامستها لمكعبات السكر أن تقرأ الأحاسيس والأفكار لأي شخص احتفظ بالمكعبات تحت وسادة نومه لساعات، و(فانكا) في العقد الثامن من عمرها، وتقطن في مدينة بيتريتش التي تبعد نحو (180) كيلومترًا عن صوفيا جنوبًا على الحدود اليونانية..

وفي الثاني من كانون الأول (1981) أجرى مندوب الكفاح العربي (عبد الأمير عبد الله).. لقاءً مع فانكا في بلغاريا البلد الأشتراكي في ذلك الحين، الذي أبقى على فانكا كرمز وكأسطورة لاتقبل التأويل، وقد تنبهت الدول الاشتراكية إلى ظاهرة الحاسة السادسة والاستبصار والسيكوكينيزيا (أي المقدرة التي يمتلكها الفكر أو الذهن المركز على تحريك المادة) وبدأ العلماء السوفييت في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي يدرسون بعمق الظواهر الباراسيكولوجية.

نشرت مقالة عبد الأمير عبد الله حول فانكا في 4 / 1/ 1982 وقد تحدث عبد الأمير عبد الله عن أن رئيس بلدية ((بيتريتش)) ساعد في تحديد الموعد مع فانكا، وعلم منه أن فانكا ولدت عام 1919 في مدينة أسترروميتزا اليوغسلافية سابقًا والبلغارية حاليًا، وأصيبت في الثانية عشرة من عمرها بمرض العيون، واحتاجت لعملية جراحية سريعة لم يتمكن والدها الفقير من جمع المبلغ اللازم لها وهكذا فقدت البصر..

وفي عام 1941 هاجرت فانكا إلى بيتريتش ويعتبر رئيس البلدية أن قدرة فانكا طبيعية في نظر العلم لأن في الدماغ مليارات الخلايا، لايستخدم منها الإنسان سوى عشرها فقط. ويصف عبد الأمير عبد الله طلعة فانكا الجميلة، وجدران بيتها الأبيض، ثم الغرفة التي استقبلته بها.. وحين دخل طلبت من سائق السيارة الخروج بأمر نافذ – مع أنها لم تره – كانت عيناها الغائرتان لاتكادان تظهران، ((أعطني قطعة السكر أيها الصحفي اللبناني)) وبدأت تتلمسها بحركة رشيقة.. وبدأت تصف

شكل الصحفي بدقة وكيف نزع نظارته عندما دخل وبدأت تحكي له عن حياته بتفصيل مدهش.. ولايهمنا مادار في الحديث بقدر ما يهمنا قدرة فانكا على الرؤية بواسطة الأصابع: فقد كانت تصف كل شيء كأنها تراه بميكروسكوب غير عادي.. .

وقضية التنبؤ والاستبصار.. ورؤية الحوادث قبل وقوعها جزء صغير من قدرات الإنسان الخارقة ونماذج الناس الذين يملكون تلك القدرات بدأت تشغل الباحثين في السنوات الأخيرة.. وبدأت التجارب تجري على التخاطر عن بعد واستخدام التخاطر في الأبحاث الفضائية.. وقد صرح أبو الصواريخ الروسيّة (تسيلكوفيسكي)، قبل أكثر من تسعين عامًا متنبئًا بالاهتمام بالتخاطر في عصر الأسفار الفضائية:

((ستظهر الحاجة بوجه خاص إلى الملكات النخاطرية ولسوف تساهم هذه الملكات في تقدم الإنسانية العام))

وفي الوقت الذي يفترض فيه الصواريخ أن تحمل الناس باتجاه أسرار الكون الكبرى يمكن لدراسة الظاهرات الميتانفسية أن تقودنا إلى معرفة أسرار النفس وفك أسرار هذا اللغز هو على وجه التحديد الذي يفتح أمام الإنسان أرحب الآفاق..

(4)

الدخول في العمق.. وتركيز الطاقة

إبان إقامتي الطويلة في الهند*، كنت ألتقي كثيرًا مع رجال السيخ الموزعين في المدن الكبيرة وأغلبهم من الكهول والمسنين يقرأون الطالع، ويفاجئون السياح بقدرتهم الكبيرة على قراءة الأفكار وقد حدث أن استضفت أحدهم في منزلي وكان شابًا في نحو الثلاثين من عمره حاولت من خلال أحاديثي معه أن أعرف شيئًا عن قدراته التي يطورها مع تقدمه في السن.

قال لي: ((منذ صغرنا نعتكف في مدرسة تدرؤس اليوغا والقدرة على التخاطر وبعضنا يتطور حتى يتمكن من قراءة المستقبل وبث مايريد من اشارات وأوامر لمن يرغب)) ورغم أنه حكى كثيرًا عن أشياء دقيقة حدثت لي في الماضي فلم أكن أكترث بتلك الحقائق التي تبدو مذهلة للآخرين إذ أن القدرة على قراءة الأفكار ومعرفة خبايا النفس عن طريق متابعة ومضاته أصبحت في هذا العصر علمًا قائمًا بذاته..

حاولت مع (غورديب سينغ) وهو اسم الشاب – أن أضلل معلوماته فحصرت تفكيري بقضية معينة وهو يحدق بصمت، وأنا أستجره لمعرفة المزيد من أفكاري ولكنه بعد لحظات اعترف أنني شخص

(*) ست سنوات من 13/ 12/ 1978حتّى 30/ 12/ 1984

صعب وقلت له حينذاك: ((ليس ذلك صعبًا، كل مافي الأمر أنني أركز أفكاري ولاأتركها سهلة لتصطادها)) وحين سأل عن اختصاصي وعرف أنني أتابع دراستي في الرياضيات العالية قال: ((تبدو لي شبيهًا بذلك الأستاذ الكندي – من أصل هندي – واسمه (تقدير حسين)– وقد جلس مع والدي عدة ساعات في محاولة لمعرفة المزيد عن لغة التخاطر وقراءة الأفكار))فاجأني اسم العالم الكبير الذي كتب أبحاثًا كثيرة في ((التوابع التحليلية)) والذي يمكنك أن تقرأ اسمه في أغلب المجلات الدولية في الرياضيات.

وماذا فعل مع والدك؟

كان رجلًا أصلع الرأس متوسط القامة حليق الوجه، بسمرة داكنة، قابله والدي صدفة في ((كانات بلاس)) وهو سوق شهير في نيودلهي قال له حين رآه وقد بهره منظره

وإلى جانبه زوجته الكندية الشقراء (أنت إنسان محظوظ، سترتفع فوق سلم الشهرة وتصل إلى مراتب عالية) أوقفته تلك الكلمات عن متابعة سيره، فدنا من والدي وقال له: ((لست سائحًا حتى تجذبني بعباراتك)) قال والدي: ((أعرف أنك من الهند، رغم أنك تتحدث بالانكليزية معي ولكنك إنسان غير عادي أنت تعمل خارج الهند ووظيفتك تدر عليك دخلًا جيدًا أنت في موضع احترام جميع من حولك.. في العام الماضي كنت عضوًا في وفد كبير، زرتم دولة متطورة كثيرًا،أرى شخصيات هامة تستقبلك بحرارة تعيش بين أناس يقدمون لك الكثير، ولكنك مولع بالبحث في الأسرار)) أنشد البروفسور

تقدير حسين بحديث والدي وقال له:((أنت ذكي وبارع في لعبة قراءة الأفكار)) . ثم مد يده إلى جيبه وأخرج مائة روبية لكن والدي رفض المال مشدوداً بشخصية الرجل الأسمر حليق الوجه، وشعر برغبة كبيرة في محاورته ويبدو أن البروفسور نفسه كانت تساوره نفس الرغبة فهمس لرفيقته الشقراء التي أبدات رضاها عن حواره مع والدي. طلب والدي منهما مرافقته إلى البيت وكان في منطقة قريبة ولكن البروفسور طلب مهلة ليخابر صديقًا له ويعتذر عن موعد.

وحين وصلوا البيت.. استدعاني والدي لاحضر المحاضرة بينهما قال له البروفسور: ((ماحكيته عن الوفد إلى دولة متطورة، والاستقبال الحافل كان صحيحًا فقد زرنا أمريكا في العام الماضي وتجولنا على عدة جامعات في ندوات ومحاضرات ضمن اختصاصات علمية عالية، ربما استطعت قراءة بعض أفكاري لأنني كنت طيعًا معك، ولكن حاول الآن ((وبدأ والدي يحاول معه وقال: إنك صعب الآن.. وبدأ بين الرجلين صراع ذهني أحسست في نهايته أن والدي حزين.. ثم قال للبروفسور خلال (40) عامًا من دراستي للتخاطر واليوغا بترويض الذهن وقراءة الأفكار،لم أصادف دماغًا صعبًا مثل دماغك.. ابتسم البروفسور وقال: ((قد يكون ترويض الدماغ عملًا صعبًا لمن يعملون بالفكر فقط ولايستخدمون سواه في حياتهم العملية ولكن من يعملون بقواهم البدنية يمكن ترويض أذهانهم دون صعوبة))وأخذ غورديب سينغ يحكي لي عن أشياء كثيرة كان والده يفعلها إذ كان بإمكانه أن يقرأ أي شيء يجول في ذهن من يختبره وكان السياح يقصدونه لاختبار

مقدرته وكان يبث من ذهنه أحيانًا أوامر صغيرة يفعلها السائح دون انتباه قبل أن يفاجئه أنه يعرفها تمامًا وقد سجلت في يومياتي حينها حديثي مع (غورديب سينغ) لأنه بدا لي طريفًا خاصة وأن تقدير حسين يتمتع بسمعة علمية عالية جدًا عدا عن أن دراسة الحاسة السادسة والقدرات الخارقة والطاقات الكامنة عند الإنسان شغلت ذهني لفترة طويلة إبان إقامتي في الهند.

وقبل أن أختم حديثي عن قراءة الأفكار أو تبادلها بين الناس، يمكنني ذكر التجربة التالية التي يمكن إجراؤها ببساطة بعد التأكد تمامًا من الاستعداد التام لدى من يرغبون باختبارها مباشرة.

لتكن لدينا أربع قصاصات مستطيلة الشكل طولها أضعاف عرضها.. ولتكن تلك القصاصات بالألوان التالية (أحمر – أزرق – أخضر – أصفر) بألوان باهتة وليست قاتمة وليستلم تلك القصاصات من لديه القدرة على حصر ذهنه بموضوع واحد لعدة دقائق.. أما الشخص الذي يطبق عليه الاختبار فيجب أن يكون مهيئًا للتلقي.. أقصد أن يكون ذهنه خاليًا من التفكير المشتت.. يجب أن يحرر ذهنه من أية أفكار متشعبة، هادئ الطبع بعيد عن العصبية.. ولنتفق معه على أنه حالما يسمع (نقرة معينة أو صوتًا خاصًا نحدده).. فليقل أول كلمة على لسانه.. فحين نجلس في غرفة ويمد أحدنا يده مشيرًا للون من الألوان الأربعة ويكون الشخص الذي نجري عليه الاختبار في غرفة قريبة أو يدير لنا ظهره بعيدًا يبدأ من يحمل القصاصات بتركيز فكره على اللون المختار (وليكن أصفر مثلًا) يكرر الكلمة ويركز فكره عليها

وعلى اللون الأصفر بحيث يغطي الأصفر كل تفكيره ويكون الشخص الآخر مهيئًا نفسيًا لتلقيها فحين يسمع (النقرة) أو الصوت المتفق عليه يلفظ (أصفر) دون أن يعي.. وهذه التجربة مشهورة في بث الأفكار والأوامر.. تجرى كثيرًا للدلالة على أن لونًا معينًا يمكن أن يتغير ليصبح بث أمر يمكن أن يكون كبيرًا فيما بعد.. المهم أن يكون المتلقي مستعدًا والذي يلقي إليه الأمر مهيئًا لتركيز ذهنه.

نقل الأفكار والتخاطر عن بعد هو موضوع هام ازدادت الأبحاث حوله في السنوات الأخيرة وتوصل الباحثون لنتائج مذهلة .

***

يؤكد (بافل مونوف) وهو عالم نفس يجري اختباراته النفسية على كثير من العينات البشرية في موسكو، أنه لدى وجوده في مستشفى توليد لاحظ الروابط البيولوجية بين الأم وطفلها فهي تستدل عليه ولو لم تره بعد الولادة بين مئات الأطفال وتهرع إليه تتلقفه بحنو بالغ ورغم أن الأمهات يعشن في جناح منفصل عن الجناح الذي يوضع فيه الأطفال فحين يبكي طفل أي منهن تظهر عليها العصبية والقلق وتحس بصوته يصلها عبر هذا البعد. إن هذه الصلة النخاطرية بين الأم وطفلها تظل مرافقة لها طول حياتها.ويمكن للابن الذي يتعلق بأمه أن يحس بمتاعبها مهما كانت بعيدة عنه وكذلك الحال بالنسبة للأب والأبناء..

يروى ميخائيل لومونوسوف مؤسس جامعة موسكو (ام – جي – أوو) أنه في صغره وكان يعيش مع أسرته على شاطئ البحر.. حيث

يعمل والده بصيد السمك وكان متعلقًا به.. إنه حلم ذات ليلة بوالده يصارع الموج على مركبه في عرض البحر. وكانت الأمواج تدفعه نحو شاطئ وعر لجزيرة في المحيط المتجمد الشمالي.. ورأى والده يغرق وحين استيقظ مذعورًا أيقن أن والده يواجه خطر الموت .

كان حينذاك في ألمانيا وقت بداية شهرته أواخر القرن التاسع عشر.. حيث كان يسمى الولد المعجزة.. وبعد عودته من ألمانيا قصد ((سان بطرسبورغ)) حيث أبلغه أخوه أن والده قد انقطعت أخباره وأخبار مركبه من مدة.. وحينها اجتمع (لومونوسوف) مع رفاق والده وقص عليهم حلمه ووصف لهم الجزيرة ذات الشاطئ الوعر التي لم يرها في حياته.. وطبقًا لمعلوماته التي حصل عليها من الحلم، عثر الصيادون على بقايا المركب وعلى جثة والده حيث جرى دفنه .

وهناك أمثلة كثيرة على لغة التخاطر بين الأم وأبنائها أو بين الأب وبينهم.. فكثيرًا مانحس الأم بآلام في معدتها حين تجرى لابنتها عملية جراحية في منطقة بعيدة عنها.. ويروى الدكتور شفارتز الأخصائي في طب الأعصاب والطب النفسي في نيوجرسي ان أكثر من (50) حالة اتصال عن طريق التخاطر رصدها بين أفراد الأسرة الواحدة.. فقد استيقظ رجل ذات صباح وهو يحس بآلام ضرسه فاتصل بطبيب الأسنان يأخذ منه موعدًا وبعد نحو ساعة اتصلت والدته من المدينة التي تعيش فيها تخبره فيها أنها قلعت ضرسًا من أضراسها كان يؤلمها كثيرًا.. وبعد دقائق من مكالمة الأم لم يعد الابن يحس بالوجع.. وحين ذهب إلى موعده مع طبيب الأسنان اكتشف أن أسنانه سليمة وأن

الضرس الذي كان يؤلمه هو في نفس مكان الضرس الذي قلعته والدته لقد انتقل إحساس الأم بالألم إلى ابنها رغم المسافة البعيدة.

وفي حادثة أخرى كان الأب - وهو موظف في عقده الخامس- يقصد مكان عمله حين أحس بألم في معدته.. كان ألمًا عنيفًا لم يستطع تحمله.. فأدار سيارته عائدًا في اتجاه البيت فزال الألم فاعتقد أنه ألم عارض لسبب مجهول فأدار سيارته من جديد متجهًا نحو مكان عمله ولكن الألم عاد إليه بعنف أيضًا فقرر أن لايذهب إلى وظيفته وأن يبقى في المنزل. وحين قفل عائدًا إلى منزله زال الألم بالتدريج فأخبر زوجته بما حصل.. وكانت قلقة منزعجة ترتعش وتدور بعصبية وقد اكتشف أنها حزمت الحقائب وقررت هجره في ذلك الصباح واصطحاب طفليها الصغيرين بينما هو في مركز عمله دون أن يعلم شيئًا عن ذلك.. فقلق الطفلين الصامت وصله تخاطريًا وسبب له تلك الآلام التي ألحت عليه على العودة إلى البيت قبل أن يفوت الأوان.

وتروى زوجة أحد الأصدقاء أنها استيقظت وهي مسافرة مع زوجها إلى دولة بعيدة بعد أن رأت حلمًا عذبها كثيرًا.. فأحدهم يكسر الجدار الرئيسي في منزل أهلها وهي تحاول منعه ولكنه كان يقهقه ضاحكًا وهو يهدم الجدار ويزيل أحجاره واحدة واحدة وكان جدارًا ضخمًا.. وحين استيقظت مرعوبة طلبت من زوجها الاتصال ببيت أهلها.. وحين حكت مع أطفالها الذين وضعتهم هناك.. قالت لها ابنتها الكبيرة ((نحن بخير ياوالدتي تمتعي بإجازتك الجميع هنا بصحة جيدة)) وحين سألت ابنتها وهي تتحادث معها عن جدها أجابت الابنة

أنه خارج المنزل الآن ورغم هذه المحادثة لم يزل إحساسها بالقلق رغم محاولات زوجها التسرية عنها.. وحين عادت بعد أيام وزوجها للوطن، اكتشفت أن والدها قد توفي في نفس اللحظة التي رأت فيها الجدار ينهار وأن الشخص الذي رأته يهدم الجدار قد تشاجر مع والدها وسبب له نوبة قلبية لودت بحياته .

لاشك أن التخاطر عن بعد والاستبصار بحوادث قبل وقوعها يمكن أن يكون ملحوظًا لدى بعض الناس الذين يطورون هذه الملكات لديهم لتصبح حقيقة قائمة بذاتها وتؤكد الفرنسيتان (شيلا اوستراند) و(الين شرود) في كتابهما (أبحاث باراسيكولوجية) أن الدراسات السوفيتية عن أثر التخاطر على الجسم البشري هي دراسات متطورة كثيرًا، يروى الدكتور (ليونيد فاسيلييف) أنه أجرى مئات من التجارب على الناس لدفعهم ذهنيًا للقيام بعمل جسمي مثل: ارفع يدك اليمنى أمدد ساقيك، سر منتصبًا إلى الأمام، وقد أكد أن كثيرًا من تجاربه قد نجحت وأن الأوامر الذهنية وصلت للناس فتلقوها ونفذوها دون وعي، ويؤكد فاسيلييف أن الناس الذين يفكرون ويستخدمون فكرهم كثيرًا أصعب في تلقي الأوامر وتنفيذها من غيرهم.. حتى المختلين عقليًا يمكنهم أن يتلقوا الأوامر وينفذوها إذا أثيرت أعصابهم قليلًا حتى يسهل عليهم التلقي.

ولعل أشهر الشخصيات المعروفة في التاريخ الروسي بالتنويم المغناطيسي والقدرات الخارقة وإعطاء الأوامر عن طريق الذهن، (راسبوتين) الراهب الشيطاني الذي كاد أن يصل عرش روسيا القيصرية

- في ذلك الحين - كان (راسبوتين) يملك قدرات نفسية خارقة، وقد تتلمذ في صغره على (الشمانين) في سيبيريا الذين يعبدون القوى الخفية للإنسان ويربطونها مع الطبيعة والقوى الإلهية وهم منتشرون في شمالي آسيا على الأخص، وقد نجح راسبوتين في تعليمه على يد (الشمانين) و تمكن من اجتياز التدريب القاسي الذي كثيرًا مايميت الراغب بالتعلم.

وبدأ راسبوتين رحلته كقديس يشفي الأمراض ويمنح البركة والصفاء لمن يشكون العلل، وكان يوحي لمن يقابله بما شاء وكثيرًا ماوقعت فتيات من أسر محافظة تحت سيطرة سحره.. ووصل به الأمر وهو يتقدم في مسيرته أن أصبح أشهر رجل في روسيا استقدمته القيصرة لعلاج ابنها الذي كان يشكو من نزف الدم المتكرر.. وقد نجح راسبوتين في إيقاف نزف الفتى وفي تحرير وجهه المتألم من وتشنجاته فأصبح طيعًا هادئًا.. وأصبح تأثير راسبوتين على المريض بأوامره الذهنية ممكنًا حتى على بعد مئات الأميال.

ونجا من محاولات كثيرة خططت لقتله -من بينها السم - حتى نجح أحدهم في إطلاق الرصاص عليه - وهو متعتع من السكر - فقتله.

ولاتزال حياة راسبوتين الحافلة موضع دراسة جادة لدى علماء (الباراسيكولوجي) في روسيا الاتحادية .

***

وحتى سنوات كان (راجنيش أو البغوان راجنيش - راجنيش المعبود - باللغة الهندية) مصدرًا لإقبال الناس عليه من كل أنحاء العالم للاستماع إلى أحاديثه والانضواء تحت رايته وقد أصبح أتباعه منتشرين في كل مكان في العالم فمن هو راجنيش هذا؟

إنه رجل من جنوب الهند عاش في مدينتي مدراس وبتنا وحصل على ماجستير في الرياضيات من جانعة (بونا) في أوائل الستينيات.. كان مولعًا بالفلسفة وعلم النفس وكان يتمتع بقدرات تخاطرية خارقة.. وبعد انتهاء دراسته الجامعية بدأ يدعو لدين جديد والهند بلد الديمقراطية.. ليس دينًا بالمعنى الصحيح وإنما طريقة للحياة ((عش كما يحلو لك)) شرط أن لاتؤذي الآخرين ((هكذا بدأت فلسفته)):

(ضع يدك على بطنك والأخرى وراء ظهرك، فكر، حرر جسدك تمامًا،حاول الخلاص مما حولك، ابتعد عن ماضيك، عش في المركز، ركز تفكيرك على المركز ليصلك الإحساس بالحرارة، ضوء الجنة، جاذبية الأرض حولك، مكان يجمع بين الجنة والنار معًا..)

يتوجه بمثل هذا الكلام لأتباعه لتصبح أذهانهم جاهزة لتلقي أفكاره التي يبثها في محاضراته بكتبه وبأحاديثه المصورة.

التف حوله الاتباع وبأقل من سنة كان الناس يتدفقون على الهند، ومعظمهم من شباب الغرب الضائع (الهيبيز) والباحثين عن أشياء جديدة في حياتهم الفارغة، كانوا كلهم صيدًا سهلًا لرجل يتمتع بقدرات خارقة، عيناه الواسعتان العميقتان تذكرك براسبوتين، قدرتهما النافذة

على سحر الناس وجذب اهتمامهم أصبحت أمرًا واقعًا دعا لطريقته، أسس حوله عصبة من المريدين انتشروا يدعون لمدرسته وفلسفته.

وبدأت الأموال تتدفق عليه حتى أن حضور محاضرة له في الهند كانت تكلف (60) دولارًا والدفع بالعملة الصعبة لأن القادمين غرباء من الهند.

خطيب مفوه له قدرة كبيرة على الوصول إلى نقاط ضعف النفس البشرية والتسرب منها وكان يتعامل مع ذلك بذكاء.. وأصبحت (الراجنيشية) مع بداية السبعينيات مذهبًا متبعًا، يمكنك معرفة أتباعه بالسبحة الطويلة كالعقد حول الرقبة في نهايتها قلب في داخله صورة (راجنيش).. ويرتدي أتباعه ثوبًا برتقاليًا.. وبعد أن ازدادت المبالغ التي تدفقت عليه افتتح مكاتب للدعوة في الهند أولًا ثم في بريطانيا، أمريكا، كندا، فرنسا، ومعظم الدول الأوروبية ولكن أكثر مكاتبه انتشارًا تلك التي في الولايات المتحدة.. أصدر مجلة شهيرة باسم (سانياس) وحين سافر إلى أمريكا لأول مرة احتشدت الألوف لتحيته واستقباله في المطار.. وتدفق الناس من كل حدب وصوب يتملون من طلعته وتسابق العلماء يدرسونه كظاهرة فريدة شدت انتباه الشباب في الغرب وقد وصل عدد الناجحين في الحصول على دكتوراه في فلسفة راجنيش إلى (21) دارسًا.

أقام لأشهر خارج الهند ينتقل بين أتباعه ثم عاد.. وكانت مكاتب دعوته في أغلب المدن الهندية وحين عادت (أنديرا غاندي) إلى

السلطة عام 1980من جديد، أمرت بطرده من البلاد إذ انتشر بين أتباعه الجواسيس ومهربو المخدرات التي لاتمنع فلسفته من تناولها.. واستقر منذ عام 1981 في أمريكا وتزوج من أمريكية وبدأ يتخلى شيئًا فشيئًا عن شخصيته الساحرة وترك المجال لأتباعه بنشر دعوته التي لاتزال تلقى صدى كبيرًا بين شباب الغرب الضائع..

والمتتبع لحياة (راجنيش) يشعر تمامًابما لهذا الرجل من قدرات نفسية خارقة وهو يمهد لأوامره عن طريق التخاطر بالدعوة لتحرير الذهن من التشوش ليكون مستعدًا لتلقي تعليماته لتصبح عميقة متجذرة عند المتلقي فينقاد كالأعمى.

وفي أواخر عام (1979) دعاني أحد الأصدقاء لسماع محاضرة له في (بونا) في الهند وكان مسحورًا بشخصيته وكنت أحمل في ذهني فكرة عدائية ضده وضد فلسفته من رؤية أشكال تابعيه الذين تقرأ الضياع في عيونهم.

دخلنا المحاضرة بعدما دفع مبلغًا من المال لأحد المقربين منه:كان يجلس على كرسي وثير على مصطبة عالية وقد تربع الناس يستمعون إليه من كلا الجنسين ينصتون بذهول لحديثه بنبراته الهادئة. كان شيئًا لايصدق ذلك الإحساس الذي انتابني وأنا مشحون بالكراهية له.

أحسست أنني أتعرض لدوار وصداع أرجعته للزحام ولكن صوته كان ينفذ لأعماقي ((اخرج كل السلبيات من جسمك كن نظيفًا

من الحقد والكره عش في المركز ركز تفكيرك بالحب والغفران نحن ضيوف على الحياة، الحياة مسرح فالعب بجمالية قدر استطاعتك)) . قسرت ذهني على التفكير بأشياء بعيدة ونهضت أعتذر من صديقي بمرض مفاجئ وخرجت دون أن يحس بخروجي كان حالمًا ساهمًا مع غيره.

تلك الطريقة التي نفذ منها راجنيش إلى أتباعه:دعا للحرية المطلقة وفعل ماتشتهي النفس مهما كان حتى لو كان ضارًا للشخص نفسه ولكن يجب أن لايكون ضارًا للآخرين..

لراجنيش أسطول جوي – وأسطول من الروزرايس وقوة بوليس وإطفاء ودار نشر ومحطة إذاعية خاصة ومحطة تلفزيونية خاصة بخطبه وأحاديثه في أمريكا نفسها التي فتحت له الباب على مصراعيه مادام صرعة جديدة لإلهاء الشباب وإبعادهم عن التدخل في شؤون حكومتهم التي تستغل الإنسان وتقهره حتى أقاصي المعمورة.

والقدرات الخارقة للإنسان كثيرًا ماتستخدم في الاستبصار عن بعد والتنبؤ بأحداث المستقبل ويعتبر (ميسينغ) أغرب شخصية في التاريخ المعاصر تمتعت بقدرات بث الأوامر من الذهن والتخاطر عن بعد لدرجة أنه أصبح ظاهرة درسها العلماء الروس بكل عمق.

(5)

التحليق خارج الجسد

من المعلوم أن قضية التنبؤ والاستبصار ورؤية الحوادث قبل وقوعها جزء صغير من قدرات الإنسان الخارقة.. ونماذج الناس الذين يملكون تلك القدرات بدأت تشغل الباحثين في السنوات الأخيرة.. حتى أن التجارب تجري على التخاطر عن بعد واستخدامه في الأبحاث الفضائية..

كثيرًا ماتجري تجارب هامة على التخاطر.. ولكن بعض الناس يستعصون على مثل هذه التجارب و إبان تواجدي في الهند.. حدثت لي بعض الحوادث التي تؤكّد على أنّ من يستخدم دماغه بشكل مركّز لايقع بسهولة في فخ من يحاول التأثير عليه..

تعود معرفتي ب (أوم بركاش سنغ) في أوائل الثمانينيات.. ففي يوم من أيام حزيران الحارة، وكنت أتمشى في (كانات بليس) أكبر سوق في دلهي.. استوقفني رجل مسنّ بلحية بيضاء وعمامة ملفوفة جيدًا على عادة السيخ..

- أنت شاب لديك طموحات عديدة، يأتي إليك مال كثير في حياتك، ولكنك لاتحب الاحتفاظ به..

- استوقفتني، لتقول لي مثل هذا الكلام، هل أنت منجّم تقرأ الطالع؟

قال وهو يتفرّس بي: - تعذبت كثيرًا في حياتك كثيرًا.. ولكنك شاب عنيد، قهرت صعابًا عديدة وصمدت في وجه ظروف بالغة التعقيد.. اسمع ستزور بلدانًا كثيرة.. في الشهر القادم ستزور بلدًا أوربيًا وتتعرف على شخصية تصبح لها أهمية في حياتك..

حكى لي (أوم بركاش سنغ) أشياء كثيرة، وتنبأ بأحداث سأمر بها.. ولم أكن في ذلك الوقت ألقي بالًا لمثل هذه الأمور، إن ماشدّني إليه قدرته على قراءة الأفكار.. وكنت مقتنعًا أن القدرة على قراءة الأفكار ومعرفة خبايا النفس عن طريق متابعة الذهن وومضاته.. أصبحت في هذا العصر، علمًا قائمًا بذاته..

حاولت أن أضلل معلوماته فحصرت تفكيري في قضية معينة، وهو يحدق بي بصمت وأنا أستجّره لمعرفة المزيد من أفكاري، ولكنه بعد لحظات اعترف أنني شخص صعب..

وأخذ (أوم بركاش سنغ) يحكي لي عن أشياء كثيرة كان يفعلها.. كان بإمكانه أن يقرأ أي شيء يجول في ذهن يختبره.. وإن السياح يقصدونه لاختبار مقدرته وكان يبث من ذهنه أحيانًا أوامر صغيرة يفعلها السائح دون انتباه، قبل أن يفاجئه بأنه يعرفها تمامًا.. وهكذا تعرفت عليه جيدًا و زرته في منزله عدة مرّات.. وحين تهيّأت لمغادرة الهند بعد أن أنهيت دراستي.. ذهبت إليه أودّعه وكان قد مضى على آخر لقاء لي معه عدّة أشهر.. بحثت عنه في المكان الذي يتواجد فيه عادة في سوق (الكانات بليس) فلم أجده.. فيممت صوب منزله الذي لم يكن يبعد كثيرًا عن السوق..

فتحت لي ابنته الباب وحين عرفتني بشّت في وجهي.. ثم قالت متمتمة:

- أرجو أن يكون مجيئك مفيدًا لإخراج أبي من عزلته.. هو لايقابل أحدًا.. سأرى إن كان سيوافق على لقائك.. أعرف كم يكنّ لك من احترام..

أجلستني في الصالة الواسعة ثمّ غابت لعدّة دقائق قبل أن تعود مبتسمة:

- تفضل ياسيدي.. والدي سيستقبلك..

- تبدين فرحة؟

- فعلًا.. إنها أول مرة يبدو فيها مهتمًا للقاء شخص منذ ثلاثة أشهر..

قلت له: - لم أرغب بمغادرة الهند قبل أن أراك.. خفت أن تكون صحتك على غير مايرام..

بدت لي ابنتك قلقة عليك.. تعتبر أن انزواءك كان قاسيًا على الأسرة..

- هم لايفهمون ماأعمل، أقصد أولادي وزوجتي.. منذ سنوات وأناأؤجل تمريناتي ولكنني قبل أشهر اقتنعت أن علي البدء بها.. لم يبق في العمر مايكفي..

ثمّ تفرّس بي وهو يقول: - أنت شاب طموح سريع الفهم.. سأحكي لك قصتي الغريبة..

منذ زمن بعيد وأنا أحاول السيطرة على نفسي والدخول في حالة من (الليتارجيا) أي السبات غير الطبيعي.. والقدرة على التخشب بلا حراك كالجثة الميتة..

- أعتقد أن مثل هذه الحالات تحتاج لتدريب غير عادي..

- منذ أن كنت في العشرين وأنا أتدرب.. استطعت الوصول إلى نتائج لابأس بها.. ولكن الآن الوضع يختلف.. أنا متقدم في السن..

ثمّ تنهّد وهو يتابع حديثه: -هذا لايهم.. منذ أشهر وأنا أحاول الانفلات من جسدي تمامًا والخروج إلى أي مكان.. بكامل حواسي، في حين يبقى جسمي هامدًا بلا حركة..

قلت لابنتي منذ شهرين:جهزي لي طعامًا لعشرة أيام.. سأنزوي أتعبّد في غرفتي ولا أريد أحدًا أن يزعجني أو يقطع عليّ خلوتي بأي شكل.. وحالما تنتهي العشرة أيام.. لابأس باقتحام غرفتي إذا لم أفتحها بنفسي.. وهكذا سهرت مع زوجتي وأولادي سهرة عائلية، أسبغت فيها عاطفتي على الجميع وأقنعتهم أنني بصحة جيدة وأن كل شيء على مايرام.. ثم دخلت في صومعتي..

- لتنزوي محاولًا أن تتمرن بهدوء على (الليتارجيا)؟

- نعم.. تمكنت من الخروج من جسدي والدوران والتجول في أماكن عديدة من العالم.. لمدة تسعة أيام كاملة قبل أن أعود وقد قرعت علي ابنتي الباب.. نهضت بصعوبة في هذا الجسد المتهالك.. وعدت إلى وعيي سريعًا حيث فتحت الباب وكنت متعبًا أحس بدوار

شديد.. وسببت الخوف للجميع.. خاصة وأنهم وجدوا طعامي لم يمس تقريبًا.. ولكنني سرعان ماعدت لمرحي وحكاياتي التي يحبها أولادي.. فاطمأنوا جميعًا أنني بخير..

-وماذا رأيت خلال تلك الفترة الطويلة؟

-كنت سعيدًا وأنا أبصر جسدي أمامي ممددًا على السرير.. وسرعان مااخترقت الجدران وخرجت من بيتي أنني أطير في حلم جميل دون أن أحس بالحرّ أو بالضوء المنتشر حولي..

رأيت المنبوذين ينتشرون على أرصفة محطات السكك الحديدية يطاردون الناس من أجل لقمة تسدّ أودهم.. آه.. أحد الناس ينهال بسوطه على أحدهم.. نسر ضخم ينقض على أرنب يحمله بمخالبه والأرنب يتخبط.. لماذا يتجمع الناس هنا؟إنها مشاجرة.. كنت أشعر أنني أندفع في الجوبسرعة خارقة.. رأيتباخرة تجنح نحو جزيرة صخرية تدفعها الأمواج.. أقمار صناعية.. أسلحة مخيفة تخبّأ.. لماذا لايحب الناس بعضهم.؟ لماذا يتقاتلون من أجل تفاهات يمكن الاستغناء عنها؟.. آه ياصديقي كنت أتعذب وأنا أنتقل من مكان لآخر.. أرى الأمور على حقيقتها وأحسّ بتفاهة بعض البشر..

- كأنك كنت تشهد كابوسًا؟

- لم يكن حلمًا كان حقيقة تبدّت لي بكل بشاعتها.. ورغم جولتي السريعة فقد شهدت مجموعة من الناس في جزيرة نائية، أحسست أنهم يختلفون عن غيرهم بسلوكهم الطيب وتعاونهم.. ولكن لم أتمكن من النفوذ بينهم.. فقد أيقظني القرع المتواصل على الباب..

- أرأيت كل هذه الأشياء..؟

- كان الزمن يمر عليّ بسرعة خارقة، كأن كل تجربتي لم تستغرق سوى دقائق.. هكذا اعتقدت..

- كانت تجربة فريدة أثرت فيك تأثيرًا كبيرًا.. هل هي أول مرة تقوم بها.؟.

- في المرات الماضية كان استعدادي ضئيلًا لم كن أشعر بالوقت يمضي بتلك السرعة.. تلك المرات السابقة كانت كالحلم.. آه ياصديقي.. كل تجاربي خلال فترة حياتي الطويلة وأنا في عقدي التاسع.. لم أحلم أن أصل في تدريباتي على اليوغا.. إلى هذه المرحلة.. وأنا سعيد لذلك..

- هل تفكّربإعادة التجربة لزمن أطول.؟.

- نعم.. سأدخل في التجربة لثلاثة أسابيع.. ولن أدع أحدًا يقاطعها.. لم أشعر بالوقت يمر في تجربتي السابقة.. رغم أنها استغرقت تسعة أيام..

قلت له وأنا أحدّق في وجهه المتعب: - ألا تعتقد أن ذلك يشكل خطرًا على حياتك؟

ضحك: -وماذا يتبقى لي من الحياة وأنا رجل عجوز متقدم في السن.. أعتقد أنني سأنجح.. وسأحقق رقمًا قياسيًا في الخروج من الجسد..

نظر لي فجأة مستفهمًا: - متى ستغادر الهند؟

قلت: – أنا أجهّز نفسي.. ربّما خلال أيّام..

هزّ رأسه منزعجًا: – اعتقدت أنّك ستشهد نهاية تجربتي.. تعرف كم أكنّ لك من ودّ؟

سألته: – ولكن متى ستبدأ هذه التجربة؟

أطرق شاردًا: – بعد غد.. خطرت لي قبل قليل فكرة أن ألقاك بعد نهايتها.. أتعلم؟ أشعر بالراحة، وأنا أتحدث إليك، أنت تفهمني جيدًا، وتفهم أن الإنسان يتمتع بقدرات خارقة لايستثمر سوى جزء ضئيل منها..

قلت له جادًّا: – أستطيع أن أؤجل سفري عدة أيّام لأنهي بعد الأعمال التي أجّلتها لوقت آخر.. تعلم كم أنا متعلّق بأسرار هذه البلاد؟

أشرق وجهه: – ستكون فرصة نادرة أن تشهد تجربتي الخارقة..

شددت على يديه: – أتمنى لك التوفيق، وأرجو أن أراك في أتم صحّة بعد نجاح تجربتك..

نهضت مودّعًا فاستوقفني: – يجب أن تقنع عائلتي بعزلتي القادمة..

وهكذا تحدّثت مع أفراد أسرته وبالهنديّة التي أتقنها أقنعت الجميع بأنّ الرجل المسنّ (أوم بركاش سنغ) سينعزل من جديد لثلاثة أسابيع، وأن هذا الانعزال سيكون الأخير ولاداعي للقلق عليه.. فهو لايريد أحدًا أن يزعجه لأي سبب كان..

أدهشني ذلك الرجل المسنّ بتصميمه على اختبار قدرات الجسم البشري.. أمعقول أن يتمكّن (أوم بركاش سنغ) من إخراج طاقته الحيويّة من جسمه، لينتقل فيها بحريّة من مكان إلى مكان دون أن ينهكه ثقل جسده المتهالك؟

كنت مبهورًا من تجربته وقد كان يشرحها لي بجماس فائق:

- لاتتصوّر كم هي مدهشة تلك الحريّة التي تتمتّع بها وأنت دون قيود.. درت على أمكنة كثيرة.. شهدت أحداثًا مرعبة: انفجار طائرة في الجوّ.. خروج قطار عن سكّته.. قتال شرس، بين مجموعات من الجنود المدجّجين بالسلاح، وجماهير عزلاء تقأوم، حتّى بأيدبها وأظافرها وكلّ مايتوفّر لديها، أولئك الجنود القساة..

ومضى يصف لي مشاعره من أولئك الذين يمتهنون كرامة الإنسان.. وقد شهد في تجواله الفريد بعضًا من أفعالهم المشبنة:- لم أصدّق نفسي وأنا أرى مايفعله هؤلاء.. ليسوا بشرًا بالتأكيد.. كلّ ما يريدونه هو المتعة حتّى في أخسّ أوضاعها البهيميّة..

خرجت من منزله وذهني غارق بالتفكير بما حكاه لي.. هل كان يحلم؟ أم أنّ مارآه كان حقيقيًا؟

تركت (أوم بركاش سنغ) وهو يستعدّ للقيام بتجربته التي كانت فريدة في طولها.. وتزود بالطعام والشراب حتى لايلفت نظر من حوله.. وليظهر أن عزلته عادية تمامًا.. يتناول فيها الطعام والشراب على الطريقة الهندية، أي طعام خفيف غير دسم وماء..

انشغلت بعدها في لقاءاتي مع المثقّفين والكتّاب الهنود، الذين ربطتني ببعضهم صداقات مازالت مستمرّة ! وبعد عدّة أيّام خطر لي أن أزور منزل صديقي المسنّ.. لأطّلع على ماوصلت إليه تجربته.. وهكذا اتّجهت صوب منزله القريب من (الكانات بليس).. طرقت الباب ففتحت لي ابنته وابتسمت في وجهي مرحّبة.. وقبل أن أسألها عن والدها قالت لي:

- والدي منعزل في غرفته وقد منعنا من إزعاجه لأي سبب كان..

- منذ متى بدأت عزلته؟..

- منذ عشرة أيام بالضبط..

- حسنًا.. شكرًا لك، سأعود في وقت آخر..

وأتت والدتها ثمّ اتى أخوها وبدأ ثلاثتهميلحّون عليّ للدخول وتناول الشاي والمرطبات، وقد شعرت أنّهم يرغبون في طرح بعض الأسئلة عليّ حول عزلة الرجل المسنّ.. ولكنّي اعتذرت على أن أعود بعد أيّام.. وقد خفت أن أحكي شيئًا لايرغب المسنّ أن أحكيه..

***

آه.. من تصاريف القدر.. عدت للانشغال بأعمالي المتراكمة التي حاولت إنجازها قبل سفري ولم أتذكّر صديقي (أوم بركاش سنغ) إلاّ بعد اثني عشر يومًا.. فاتّجهت ملهوفًا إلى بيته قرب السوق..

كنت أعتبر أن تلك التجربة الفريدة التي يقوم بها، هامة جدًا لدرجة جعلتني متلهّفًا لمعرفة نتيجتها.. وكنت جمهورها الرئيسي ومراقبها والعالم بخفاياها..

طرقت باب منزل(أوم بركاش) وقلبي يخفق بعنف.. فتحت لي ابنته الباب.. وقالت لي بخوف:

- آسفة يادكتور مازال والدي في عزلته..

- لم يستيقظ؟

- إنه منعزل وليس نائمًا؟

- ماعدد الأيّام التي قضاها في عزلته..؟

- هذا هو اليوم الثاني والعشرون..

قلت واجفًا: -متأكّدة؟..

هزّت رأسها بالإيجاب: - نعم متأكّدة.. أنا أحصي ذلك بدقّة.. اشتقت لأبي كثيرًا.. لي علاقة خاصّة معه.. بصراحة أطال هذه المرّة عزلته..

قلت لها وأنا أرتجف من الخوف: - اسمعي ياآنسة يجب أن أدخل.. والدك في خطر..

- أرجوك يادكتور.. كما قلت لك منع الدخول إليه لي سبب كان.. تعلم أن غرفته منعزلة عن البيت وهوغارق في عبادته.. لماذا هو في خطر؟

ثمّ انتبهت فجأة مستشعرة أنّ خطرًا حقيقيًّا يتعرّض له والدها بالفعل.. : - ماذا تقول؟

- إنه في خطر صدقيني..

كان الباب مغلقًا من الداخل.. يجب تحطيم الباب.. ودون أن أنتظر السماح لي بذلك ألقيت ثقلي عليه فانفتح.. كان المسنّ ممددًا على السرير دون حركة.. انفجرت الفتاة باكية.. وحضرت والدتها التي كانت في الدار أيضًا.. تلقّت الخبر بدموع صامتة.. وضمّت رأس الزوج الميّت وهي تصلّي صلاتها الخاصّة.. ثمّ تمتمت وهي ترمق صينيّة الطعام والشراب:

- ياإلهي اطعامه لم يمس.. يبدو أنه لم يذق طعامًا ولا شرابًا منذ أيام طويلة..

شعرت بالأسى على موت صديقي (أوم بركاش سنغ).. يبدو أن المدة التي قضاها في سباته الطويل أطول من اللازم..

كان رجلًا خارقًا (أوم بركاش) ربما من أكثر الرجال الذين قابلتهم غرابة.. من يعرف ماذا حصل له خلال تجربته؟ الذي أعرفه ومتأكد منه، هو أنه خاطبني.. تخاطريًا.. دون أن أراه.. وهو يؤكد لي أنه يتجول طليقًا في العالم دون قيود.. هل كانت زياراته لي المتكرّرة في الحلم بعد وفاته حقيقية.. أم أنني لكثرة ماشغلني بتجربته، كنت أتخيل ذلك؟ كم هي محيّرة الإجابة عن تلك التساؤلات؟

كان (أوم بركاش سنغ) متميزًا في التخاطر وقراءة الأفكار ثم فياللليتاريجيا أي السقوط في السبات العميق إلى درجة التخشب..

لقد أصبحت دراسة اليوغا.. والقدرات الخارقة لدى الإنسان مهمة لكثير من الباحثين.. في معظم دول العالم..

وقد تمكن العلماء من التوصل لطريقة لبث الأرقام بين دماغين.. وذلك في فبراير- شباط 1968 لأوّل مرّة.. حيث عرض العالم الروسي (فلاديمير فيدلمان) طريقة لبث الأرقام بين دماغين وأمام جمهور كبير في مؤتمر (الباراسيكولوجيا) أكد فيها أن باستطاعة أي شخص أن يبلّغ رقما ما إلى آخر.. وقد قبل فيدلمان كل من عرض نفسه ليطبق عليه طريقة الإيحاء بالتركيز تلك.. وتوصّل إلى نتائج مشجعة بالطبع.. وتراوح زمن تبليغ الرقم بين عشر ثوان ودقيقة ونصف حيث يشاهد المرسل على شاشة إلكترونية الرقم المطلوب وهو يومض بانتظام حتى يستقر نهائيًا في ذهنه ويتلقى الدماغ الآخر هذا الرقم ببساطة..

وحتى الآن تجرى مثل هذه التجارب وهي تجارب نجحت بنسب كبيرة.. بل وأصبحت عادية تمامًا.. فالذي فعله (فيدلمان) هو تجربة بسيطة لاختبار الذهن.. وأمكن تطويرها فيما بعد ليصبح البث المتبادل كلمات وأوامر بدلًا من الأرقام..

وفي معرض عجيب في دلهي في الهند.. يتحدّث عن القوى الخفيّة.. أدخلني أحد معلمي اليوغا إلى غرفة مغلقة مظلمة ثمّ بدأ يتحدّث لي: استرخ في مقعدك.. ستنتقل بعد قليل إلى مكان آبة في

الجمال.. وبعد دقائق كنت أحلّق فوق جزيرة في وسط المحيط.. كانت جزيرة تحفّ بها الخضرة وينتشر سكانها على الشواطئ يصيدون السمك ويسبحون.. وإلى الداخل كانت هناك مجموعة من الأكواخ الخشبيّة المصنوعة بشكل فنّي رفيع.. يلعب حولها الأطفال.. أرى بحيرة في وسط الجزيرة، شكلها كحدوة الحصان.. هناك سباق للقوارب الطويلة يجري فيها.. أدهشتني كثرة أسراب الطيور المحلّقة.. كنت مبهورا وأنا أتابع مايجري في الجزيرة حين سمعت صوتًا كككانّه ينطلق من داخلي:- حان الآن وقت العودة..

خرجت من الغرفة وأنا أشعر بالتعب.. أشار لي الرجل - معلّم اليوغا - إلى صورة فوتوغرافية ملوّنة، جزيرة وسط المحيط تشبه الجزيرة التي كنت أحلّق فوقها في الغرفة المظلمة.. تتداخل فيها صور لأناس.. يشبهون أولئك الذين تابعت تفاصيل حياتهم الصغيرة عن بعد..

لقد تمكّن الرجل أن ينقل تلك الصورة مجسّمة إلى دماغي ولكن كيف تحرّكت الحياة فيها؟ هذا لم أفهمه.. قال محاولا أن يجيبني بطريقته: نقلت الصورة إلى دماغك.. وساعدني خيالك في تحريكها..

دخلت الطاقات الخفيّة ومن بينها التخاطر وبث الأفكار في تجسيدها.. فشهدت أنها تتحرك أمامي كما لو كانت فيلمًا سينمائيًا..

رجّح بحث علمي مؤخرًا أن يكون الإنسان قد تمتع منذ آلاف السنين بحاسة سادسة مفقودة الآن بسبب تحوّل في جينات الجنس

البشري، ويعتقد العلماء بوجود آثار عضو ضامر في الأنف كان في يوم مايلتقط الإشارات الكيميائية الصادرة عن أشخاص آخرين، بينما يرى البعض الآخر أن هذا العضو مازال يؤثر على السلوك البشري إلى يومنا هذا..

ويقع هذا العضو الضامر خلف فتحتي الأنف في الدماغ وهو عبارة عن ثقبين صغيرين يحتويان على أعصاب تلتقط الإشارات الكيميائية التي يفرزها الآخرون، ولم يحسم العلم حتى الآن ما إذا كان الجسم البشري يمتلك القدرة على إطلاق تلك الإشارات الكيميائية أم لا؟ وبالمقابل فإن الإشارات الكيميائية المنبعثة من أجسام العديد من الحيوانات تحرّك أقرانها أنماطًا سلوكية غريزيّة مثل العدوانية، والتزاوج..

وأدت هذه النتيجة إلى الاعتقاد بأن البشر ربما تمتعوا في عصور سابقة بالقدرة على التواصل بلغة كيميائية دقيقة المفردات ولكن البشر فقدوها بعد أن أصبحت أنوفهم الضامرة غير قادرة على النمو والعمل بالصورة السليمة..

ولم يفسر العلماء الاستبصار بالحلم، والأحلام التنبؤية، وحتى التخاطر عن بعد.. ومازالت هناك الكثير من الأسئلة التي أحاول الإجابة عليها والتي تتعلّق بتجربة (أوم بركاش سنغ) أو بتجربة تحريك الحياة في صورة فوتوغرافيّة.. دماغ الإنسان هو منبع طاقاته الكامنة..

(6)

الحاسّة السادسة ـ التنبؤ والاستبصار

في لقائي الأخير بالزعيمة الهندية الراحلة (أنديرا غاندي) في حزيران 1984 كانت تبدو منشرحة الصدر واقتحم جنودها المعبد الذهبي في أمريستار وقضوا على عدد من زعماء المتمردين السيخ ومن بينهم ((بندران والي)) قائد الجناح العسكري و((أمريك سنغ)) قائد قطاع الطلبة والشباب وقد صادر الجيش الهندي من المعبد كميات كبيرة من الأسلحة . سألتها:

أكانت تلك آخر المعارك الكبيرة مع متمردي البنجاب؟

قالت:- قد لاتكون آخر المعارك ولكنها أكثر المعارك خطورة.. كان في اعتقادها أن زعامة السيخ الفعلية التي تقود التمرد قد أنهيت .

ألا تعتقدين أن الانتقام ممكن وقد لايسكت المتطرفون على هذه الهزيمة؟

قالت بابتسام: ((قد لايسكتون ولكن لن يستردوا أنفاسهم سريعًا)) كانت لاتزال على إشراقتها وهي تتحدث عن مستقبل الهند بولاياتها الست والعشرين المتحدة القومية التي يحبها أبناؤها على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم.

((أحس الآن أنني أديت مهمة شاقة لست أفكر في المستقبل وقد أوقفت كل المحاولات لشرخ وحدة الهند . بلدنا عظيمة ولنه تتمكن الأيدي الخارجية من الإساءة إليها)).

ألا ترسمين خطة للمستقبل القادم حتى نهاية ولايتك على الأقل؟

قالت: ((بعد أشهر تنتهي ولايتي وكل مايهمني أن ينجح من يتولاها بعدي في ضمان استقرار الهند ولايهمني إن مت في مقابل ذلك الاستقرار))

كانت تلك آخر كلماتها وقد ربطتني بابنها ((راجيف)) صداقة بدأت منذ عام 1982 وقد نشرت لقاء معه في الكفاح العربي في 4تشرين الأول1982وكنت خلال تلك الفترة مندوبًا للمجلة في الهند وشرق آسيا -بعنوان ((هل يصبح حفيد نهرو رجل الهند المقبل))؟

وقد خلصت بنتيجة حول لقائي مع ((أنديرا غاندي)) من أنها رغم إشراقتها تتوقع أن لاتستمر في العمل السياسي وإن اقتحام المعبد الذهبي قد يسبب سقوطها في الانتخابات المقبلة رغم أنها كانت تبدو سعيدة غير مكترثة بما يمكن أن يحصل لها من متاعب ربما كان أشدها الموت..

وكثرت الأحاديث الصحفية التي أدلت بها حول الشعور بأن مهمتها انتهت حتى أنها قالت لفاطمة زكريا -مندوبة الانديان اكسبريس -قبل شهر من وفاتها أنها تحس أن شيئًا كبيرًا سيطرأ على حياتها.. هل كانت تستبصر الغيب وترى أن حياتها قريبة من النهاية؟في أشهرها

الأخيرة كانت سعيدة وكانت تبتسم وتداعب الصحفيين الذين تقابلهم – على غير عادتها –حتى أن كلماتها الأخيرة وجلاداها يطلقان عليها النار– وهما من السيخ وأحدهما كان حارسًا خاصًا لها منذ 14 عامًا ((اوركيابهي)):

وماذا أيضًا ياأخ؟– توجهت نحو حارسها الخاص بتلك الكلمات وكأنها تستكشف من عمله معالم مستقبل العنف الذي اختطه المتطرفون السيخ في السنوات الأخيرة للمطالبة بولاية البنجاب المكونة من كلمتين (بنج – أب) ومعناها بالفارسية (خمسة أنهر) كولاية مستقلة للسيخ لها حكومتها وإدارتها وأطلقوا عليها ((خالصتان)) أي أرض الخلاص لأنها الأرض التي عاش فوقها معلموهم عبر القرون الطويلة منذ أن أسس ((غوروناناك)) مذهبهم عام 1457. وفي ختام لقائي معه المنشور في 4 تشرين الأول من الكفاح العربي أكد راجيف غاندي أن قانون الطوارئ غير ضروري: ((نحن لانستطيع أن نجبر إنسانًا على فعل شيء بالقوة أنه يتمتع بحرية مطلقة ضمن حدود القانون))ورغم ماجرى بعد ذلك فلم يفرض قانون الطوارئ وحقق بحنكته الحد الأعلى من وحدة الشعب الهندي في ولاياته الـ (26) رغم الظروف والضغوط السياسية الكبيرة من حوله.. لا أزال أتذكّر تفاصيل موت أنديرا، جنازتها الضخمة ومئات ملايين الهنود يبكونها..

وجوه واجمة مقطبة، علاها الأسى، و جموع تصرخ منفعلة باكية (أنديرا غاندي أومررهي هي) ستبقى أنديرا غاندي معنا حيةأو لم تمت

أنديرا غانديمن تينمورتي بها فإن(بيت الأصنام الثلاثةثلاثة أسود) يبدو زيل سنغ محاطًا بوفود اجنبية من بينها رئيسة وزراء بريطانيا، نائب الرئيس الأمريكيرئيس الوزراء السوفيتي.. .

سيحملونها من عربة المدفع، حتى (350) ياردة، حيث وضعوا منصة الحرق على شاطئنهر(رامونا) أحد الأنهار المقدسة لدى الهندوس.. كبار الجنرالات بدأت بنقلها، على اليمين من الأمام بدا ابنهار اجيف يحملها وقد احاط كتفه بوشاح أسود لدلالة على الحزن وارتدى لباسه الهندي الأبيض إلى جانب نائب الرئيس الهندي، زيل سنغ.. .وكبار الجنرالات.. بدأوا يحملونها ببطء ومظاهر الكآبة بادية عليهم.

على علو عشرة أقدام وضعوها في منصة الحرق، حيث ستبدأ عملية الحرقبعد ربع الساعة، وبنفس الوقت حرقت على هذه المنطقة جثث نهروو سانجي غاندي والآن أنديرا غاندي.. .كان جسدها محاطًا بالزهور وقد غطى شعرها غطاء كانت تلبسه بالمناسبات.

الرصيف يبعد عن المنطقة (35) قدمًا، وبدأت التراتيل من جميع الأديان، تصدح في وقت واحد.. .

وخصوصًا التراتيل الهندوسية من الكتب المقدسة [(جنبك صورة جاندرا هيكاأنديرا جي تيرانام رهيكا).. (ما دامت الشمس والقمر في السماء فإن اسم أنديرا غاندي سيبقى)] ومن بين الناس حولها ظهرت الأم تيريزا أم الفقراء والمساكين ومساعدة المحتاجين في كلكوتا.

بعد مجموعة هائلة من الأحداث التي عمت المدن الهندية وخاصة دلهي، وربما ستستمر إلى أجل لا يمكن لأحد أن يتنبأ به، حرائق في كل مكان في دلهي عربات محترقة باصات سيارات صغيرة، دراجات نارية، بيوت بكاملها كردود فعل، وكفعل فاعل مقصود.. بدأت العملية لدى الإعلان أن القاتلين كانا من السيخ أكثر من ستة عشر عامًا كان أحدهما من حراسها، غاب ثلاثة أشهر في البنجاب وعاد قبل ثلاثة أيام لينفذ في 30/ 10 / 1984 التاسعة صباحًا مهمة قتلها مع زميل له في الحرس من السيخ أيضًا ليفرغا في جسمها ست عشرة رصاصة، ولتصل إلى المستشفى وقد فارقت الحياة.. وهي جثة غارقة بالدم، ثمانية أطباء اجتمعوا حولها لإنقاذها، دون جدوى.. فلقد كانت الإصابات قاتلة.. حول جثمانها وضعوا (500) كغ من خشب الصندل.

(بدأت رحلتها إلى الجنة، بدأت الموسيقى تعزف ومن حولها يشاركون في وضع الصندل كان راجيف يتأمل المشهد كئيبًا صامتًا، يهمس بكلمات لمن حوله ليقوموا بواجبهم . سونيا وراؤول زوجة راجيف وابنه . وكل فترة يضعون عيدان من البخورفوق الجثمان، والنار تشتعل، يرشون عليها نوعًا من الزيوت لتساعد على الحرق، الناس زرافات ووحدانا يتقدمون منها يتباركون منها.. من بينهم الممثل المشهور أميتاب بتشان.. الذي أدلى بتصريح قال فيه: ((جاءتني إلى المستشفى وزارتني كأم رؤوم وقبلتني في جبيني))أرون أبن سانجي أيضًا.. زيل سنغ رئيس الجمهوريّة يظهر من بين الوفود ويتقدم من منصة الحرق ينحني ويلقي شيئًا من البخور، وهو كئيب حزين، الرئيس الهندي

الذي كان مخلصًا ووفيًا لعائلة غاندي مع أنه من السيخ.. ابنة راجيف (بريانكا) وكذلك (تواسنغ) عضو في الحكومة المرحلية التي يرأسها راجيف.. وأقسم اليمين كرئيس لها منذ أن تُوفيت أمه بساعات.. ((لا تفارقينا أيتها الروح التي أعطت كل شيء لنا ونحتاجها الآن لتظل معنا)).

سيلقون بالعظام في الله أباد (مكان مولدها) مكان التقاء الأنهر الخمسة (ساتلوج)، (براهامابوتري) إضافة لياموناوالغانج وجانيا. وسيضعون الرماد في قوارير ضخمة ستذهب لكل اللايات الهنديّة للتبرّك.. ثمّ ليذرها راجيف في ثلوج الهيمالايا حيث ينبع الغانج نفسه.

كانت سونيا تضع نظارات سوداء على عينيها وهي تلتحف بطرف الساري الأبيض الذي ينثني بخط أسود على طوله.

راجيف نفسه قبل /20/ عشرين عامًا، ربما قام بعملية الحرق أيضًا لجده نهرو، لأن الفتاة لا تحرق أباها إلاّ إذا كانت وحيدة.. بعض الكهنة حول المنصة، وهناك رؤساء وملوك وأمراء ونواب رؤساء ورؤساء وزارات وممثلون لدول (خشب صندل بنحو(50) ألف روبية وزيوت إضافة لزهور وعطور وبخور.. .ومساحيق بروائح عطرة لتمنع وصول الرائحة إلى الناس).

يبدو التأثر على راجيف وقد أحس بثقل همومه التي ترقد في أعماقه، حول المستقبل المظلم الغامض الذي ينتظره في الهند.. يبدأ بالدوران مع مجموعة حول الجثة المنحرقة،وبيده عصا طويلة. يتوقف

بعد عدة دورات يلقي بشيء من الزيوت من وعاء، يتوقف حزينًا كئيبًا، تنحدر الدموع الصامتة من عينيه. يتأمل النار تشتعل في جثة والدته. ثم يضم يديه محييًا مودعًا للمرة الأخيرة.

لم تكن أنديرا قد بلغت السبعين عندما اغتيلت، وحين خلفها راجيف كان في الأربعين من عمره (وهو من مواليد 1944) لم يستمر طويلًا في حكمه حتى اغتالته يد الغدر في منتصف عام 1990 بطريقة مروعة.. فتاة تقدم لها طاقة زهر في داخلها قنبلة انفجرت وأودت بحياته وحياة بعض الناس حوله..

***

وقضية الاستبصار ورؤية المستقبل جزء هام من حاسة الإنسان السادسة وتشغيل الطاقات الكامنة تحدث كثيرًا لبعض الناس وقد أبلغني كثير من الأصدقاء عن حالات نادرة تحدث لهم.. كأن يروا حادث سيارة قبل وقوعه بدقائق أو كان تلح عليهم ذكرى صديق لم يروه منذ سنوات فإذا به يظهر فجأة أمامهم..

ولعل أطرف تلك الحوادث ماجرى للدكتورة ((شيرين)) وهي طبيبة بشرية إذ إنها رأت أن أختها وزوجها وابنهما الصغير قد أتوا من سفرهم في زيارة لها- وهم في بلد آخر - كانوا يتسللون عبر حديقة المنزل ليفاجئوها بمجيئهم.. وقد عاد الحلم وتكرر أكثر من مرة وكانت أختها وزوجها يعيشان في بلد بعيد.. وبعد نحو ستة أشهر من رؤية

الحلم لأول مرة وكانت قد قصته علينا عدة مرات – فوجئت وزوجها بأختها وابنها يتسللون كما في الحلم تمامًا لتراهم أمامها فجأة وهي التي لم تتوقع على الإطلاق قدومهم من البلد البعيد الذي يقيمون فيه.

والحديث عن استبصار المستقبل يقودنا إلى التنبؤ هل يمكن لإنسان أن يتنبأ بمستقبل الناس وماهي المواصفات اللازمة لنجاحه في ذلك؟ وهل لذلك علاقة بالحاسة السادسة؟

في الرياضيات هناك زمن سلبي يمتد إلى اللانهاية وزمن إيجابي غير محدود أيضًا والزمن هو البعد الرابع في الكون فهل يمكننا اختراقه لمعرفة المستقبل أو لرؤية الماضي والتأكد من صدق أحداثه – كما يسجلها التاريخ – هذه القضية تشغل بال العلماء ومنذ فترة طويلة فمن المعروف أن الشخص الذي يسير بسرعة الضوء يكون الزمن متوقفًا بالنسبة له.. ولكن هل يمكن القفز فوق سرعة الضوء – وهو أمر يبدو مستحيلًا الآن.

– هل القفز فوق تلك السرعة يجعلنا نتقدم في الزمن لآلاف السنين أو نعود إلى الوراء آلاف السنين.وهل الزمن له اتجاه وحيد فقط نحو الأمام؟أسئلة كثيرة ربما تكون مرهقة – ولكنها مهمة جدًا للبحث في قضايا الكون ومستقبله ومستقبل الإنسان فيه.. هل التنبؤ قضية علمية وهل يمكن ربطه بالخيال العلمي مادام بعض كتاب الخيال العلمي نجحوا في التنبؤ إلى درجة مذهلة مثل جول فيرن الذي حكى عن الغواصة والطائرة والصعود إلى القمر وتحقق كل ماتنبأ به بشكل

يقارب كثيرًا ماتخيله؟ لقد تنبأ ((وولف ميسنغ)) أشهر مخاطر في التاريخ بأن هتلر سيهزم وسيقتل إذا ماأندفعت جيوشه نحو الشرق وقد تنبأ بذلك عام 1937 أي قبل أكثر من عامين من بدء الحرب العالمية الثانية. وقد تحدث ميسنغ بنبؤته على مسرح وارسو بحضور جمهور كبير تجاوز الألف شخص. وقد تشاءم هتلر من تلك النبوءة بعد أن أوصلها إليه أتباعه ووضع جائزة ((200)) ألف مارك لمن يحضر ميسنغ حيًا أو ميتًا.وميسنغ هذا من مواليد إحدى القرى التابعة لوارسو.. وقد ولد في أيلول 1899 وكان صبيًا عصبي المزاج.. ضاق بالعزلة والوحدة وهو في سن الحادية عشرة فقفز إلى أول قطار في رحلة لايعرف إلى أين ستقوده.. واختبأ تحت مقعد في إحدى العربات إذ لم يكن لديه نقود ولم يملك بطاقة سفر.. واستيقظ على المفتش ينهره ويطالبه بالتذكرة فقص قطعة من جريدة قديمة وأعطاها للمفتش وهو يدعو في سره أن يتحايل على المفتش من أنها التذكرة المطلوبة.. وإذا احتج عليه فسيقول له أنها الورقة التي دفع ثمنها وقد غشه الناس بها – ولكن لدهشته قطع المفتش الورقة بقطاعته وهو يقول: ((مادمت تحمل تذكرة لم تختبئ تحت المقعد؟)) كانت تلك أول تجربة تخاطر يقوم بها في حياته وقد شعر أن عنده ملكات خارقة..

عمل ميسنغ في برلين عتالًا وقد سقط لضعف جسمه وهو يحمل حملًا ثقيلًا في أحد الأيام.. وحمل إلى المستشفى وقد اعتقدوه ميتًا وفي المشرحة.. لاحظ أحد طلاب الطب أن قلبه ينبض بضعف فأسعفه كان جسمه باردًا ولم يكن نبضه ملحوظًا ولاتنفسه..

وخلال يومين عاد النبض والتنفس إلى انتظامه وقد أكد الدكتور (ابيل) وهو أخصائي نفسي أن حالة (ميسنغ) هي واحدة من أندر حالات الليتارجيا - وهو سبات عميق غير طبيعي - وقد نبه ميسنغ إلى أنه يملك القدرة على السقوط في حالة من التخشب غير عادية، وأنه يملك قدرات خارقة لذلك بدأ أبيل يدرب ميسنغ على التخاطر وتنمية مقدراته.

وقد ألحقه (أبيل) بمحتف في برلين حيث كان يستلقي لمدة ثلاثة أيام من كل أسبوع في تابوت زجاجي في حالة من التخشب بلا حراك كالجثة الميتة وكان يتقاضي عن هذا العمل خمس ماركات في اليوم.

توصل ميسنغ إلى قدرة رصد أفكار الناس والتقاطها وكان يؤدي أحيانًا دور فقير هندي بإمكانه أن يخدر أية بقعة من جسمه تخديرًا كاملًا.. وكان يتمدد على المسامير دون أن سحها تغرز فيه ودون أن يرتعش.

وقد التقى ميسنغ مع فرويد العالم النفسي الشهير في مكتب عبقرية النسبية (ألبرت أنشتاين) وقد بث فرويد رسالة إلى مسينغ تقول: ((اذهب واقتلع ثلاث شعرات من شارب أنشتاين)) وقد تلقى ميسنغ رسالة فرويد التخاطرية وحمل ملقطًا للشعر واتجه يعتذر من انشتاين عن الشعرات الثلاث التي اقتلعها واحدة واحدة.

وقد قال فرويد حين نجحت تجاربه على ميسنغ وكان ذلك في عام 1915 لو قدر لي أن أحيا حياتي مرة ثانية لنذرتها لدراسة القدرات فوق النفسية..

وقد التقى ميسنغ بالمهاتما غاندي في الهند عام 1927 وقد جرب عليه بث الأفكار حيث أمره بأن يسلم نايا لأحد الجالسين معه.. وقد نفذ ميسنغ ذلك وأعطى الناي للرجل الذي أخذ ينفخ في الناي فتحركت سلة في الدار أمام الموجودين وخرج منها ثعبان من نوع الكوبرا تمايل مع الموسيقى.

وقد رأى ميسنغ في الهند من يتدربون على اليوغا وهم يقومون بأعمال مدهشة.. إذ بإمكان بعضهم أن يبقى مجمدًا عن الحركة أشبه بالجثة عدة أسابيع.. ورأى ميسنغ أن قدرته على تجميد نفسه كالخشبة لثلاثة أيام ليست شيئًا أمام قدرة متمرسي اليوغا.. وقد التقى ميسنغ بالعديد من رجال السياسة ومن بينهم ستالين الذي التقى به عام 1940لأول مرة.. وقد طلب منه ستالين أن يحضر ((100)) ألف روبل من شباك مصرف في موسكو كان الطلب يبدو مستحيلًا ولكن ميسنغ قدّم لأمين الصندوق ورقة بيضاء من دفتره.. وأمر بذهنه أمين الصندوق ليسلمه المبلغ الضخم وقد وضعه في حقيبته بين دهشة من وضعهم ستالين لمراقبته.. وعاد بعد قليل يسلم المبلغ الضخم للصندوق وحين حدق أمين الصندوق في الورقة البيضاء التي اعتقدها شيكًا بـ ((100)) ألف روبل كاد يغمى عليه من الصدمة .

وقد طلب منه ستالين أن يدخل بيته الريفي، الذي كان مكتظًا بالحرس، دون أن يزودوه بجواز مرور.. وكان الدخول إلى البيت الريفي لرئيس الدولة مستحيلًا دون إذن رسمي.. وبعد أيام فوجئ به ستالين يدخل إليه ويقف أمام مكتبه بعد أن مر بتشكيلات الحراس والشرطة وهم ينحنون له احترامًا وقد فتح له الخدم جميع الأبواب في طريقه إلى مكتب ستالين.. وحين سأله ستالين عن السر في دخوله أجابه ميسنغ: ((أوحيت للجميع أنني بيريا)) فقد أوحى للحراس ورجال الشرطة أنه (لوران بيريا) رئيس رجال المباحث السوفييتية في ذلك الحين الذي يزور ستالين باستمرار.. ولم يكن ميسنغ يشبه (لوران بيريا) على الإطلاق – إذ كان رجلًا قصيرًا أسود الشعر أجعده في حين كان بيرياطويلًا يضع نظارات على عينيه .

وعندما سئل وولف ميسنغ عن الطريقة التي يقوم بها في قراءة أفكار الآخرين أو بثها أو إيحائها إليهم، أكد أن ذبذبة الدماغ، التي تسجل الآن على أجهزة التخطيط، تتباين من إنسان لآخر.. وبعض الناس يستطيع التحكم بها ليجعلها تتلقى ذبذبات واردة.. أو يمكنه بث ذبذباته نفسها إلى الآخرين.

لعل قدرة التخاطر ترتبط بالحقول الكهرطيسية وبحقل مجهول لانعرفه أو حتى – كما يقول كوزبوف عالم الفلك الروسي الشهير – بحقل الجاذبية . ولكن ماذا عن ميسنغ والتنبؤ؟لقد تنبأ عام 1940 وكان ستالين قد وقع هتلر معاهدة عدم اعتداء أن الجيوش السوفييتية

ستهدر مصفحاتها في شوارع برلين.. حتى طالب النازيون باعتقاله وإسكاته ولكن السوفييت أعلنوا: لسنا مسؤولين عن تنبؤات ميسنغ.. وفي عام 1943 وكان النازيون قد اكتسحوا الأراضي السوفييتية رغم المقأومة البطولية العنيفة لقواتهم.. أعلن ميسنغ أن نهاية جيوش هتلر ليست بعيدة وأن الحرب ستنتهي وستهدر الدبابات السوفييتية في شوارع برلين في الأسبوع الأول من أيام عام 1945 . وكان ميسنغ يعتبر أن الأحداث القادمة تومض في ذهنه فيحاول استشفافها للإيغال في المستقبل وتاريخه حافل بالنبوءات المدهشة.. إضافة لقدرته على اكتشاف الجريمة ومعرفة مرتكبيها من اللصوص الذين يسطون على المصارف والمنازل.. وقد حصل أن نجح في إزالة الستار عن كثير من الجرائم الغامضة..

ساعدت الأحداث المتتالية من هم مثل ميسنغ على تطوير قدراته التخاطرية الخارقة.. ولكن كثيرًا من الناس قد يملكون قدرات لايطورونها.. ويظلون مجهولين لانعرفهم رغم أن هؤلاء الناس يعيشون بيننا. التخاطر علم وليس شيئًا خرافيًا والحديث عنه يطول ويطول.

***

إن الطبيب كاسيان ذا الخمسين عامًا، وهو يعمل في مدينة كومبيلياكي الأوكرانية الصغيرة، ليس رجلًا عاديًا.. فهو يمتلك قدرات خارقة بلمساته السحرية إذ يستطيع أن يداوي أغلب حالات تقوس العمود الفقري وانزلاق الغضروف أو انزلاق الفقرات وحتى

التهاب جذور الأعصاب.. مهمته الأساسية علاج الحالات المرضية في العمود الفقري وماأن تلمس أصابعه السلسلة الفقرية حتى يتعرف على موطن الألم أو المرض وعندها يقرر إمكانية علاجه من عدمه وتستغرق العملية / 13/ ثانية فقط وإذا بدأ فورًا بعلاج المريض فإنه يجعل أصابعه السحرية تبدأ العمل تدلك، تنقر، تتحسس تضغط.

وبعد ذاك يرفع المريض من ابطيه ويهزه بقوة كان ينتر ثقلًا.. ثم يتركه صحيحًا وقد تضاءلت آلامه لقد حسبوا مقدار الضربات التي تضربها أصابعه على المرض فوصلت (70) ألف ضربة في اليوم وحسبوا الأوزان التي يرفعها نترًا فوجدوها نحو 40 طنًا في اليوم أيضًا.. يداه المتورمتان منتفختا العروق.. وهو لايكل ولايتعب حتى يقال أنه لاينام أكثر من ساعة ونصف يوميًا.والمرضى يتدفقون عليه بالطوابير وهو لايشتكي ولايأخذ منهم شيئًا مقابل علاجه الغريب أيضًا.. هكذا أوردت عنه الصحافة الروسية . هل تحوي أصابعه السحرية قدرة غير عادية وهي تمر على الفقرات والعظام فتعالجها وتعيدها إلى طبيعتها؟هذا هو السؤال الذي يشغل بال المهتمين بعلاجه الغريب وهم يعتقدون أنه إنسان خارق يتمتع بمواهب غير عادية ألا تدخل هذه في مجال قدرات الإنسان الخارقة؟

إن الإنسان يملك في دماغه نحو130 مليار خلية لم يستخدم منها سوى عشرها فقطفماذا لو استخدم المليارات المتبقية.. كم ستكون قدراته خارقة عندها؟